

أعظم الدعوة

تأليف

د. عبد السلام جاد بسيوني



<http://gate.dar-elmarf.com>

تصميم الغلاف:
شريف رضا

تنفيذ المتن والغلاف
بإدارة الجمع وفصل الألوان
دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

<http://gate.dar-elmarf.com>

تقديم بقلم

د. سالم محمود عبد الجليل

وكيل وزارة الأوقاف المصرية لشئون الدعوة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد:

فإن الدعوة إلى الله تعرف بأنها حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للفوز بسعادة العاجل والآجل، كما تعرف بأنها نقل الأمة من محيطٍ إلى محيط بتبصيرها بأمور دينها ودنياها على قدر الطاقة الإنسانية ويقوم بها دعاةٌ إما باختيار الله لهم وطلبه منهم، عن طريق الوحي وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلوات والسلام، وإما بوراثتهم في علمهم وهدْيهم وذلك للعلماء.

لذا ترجع أهمية الدعوة إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنس والجن إلا ليعبدوه وحده لا شريك له كما قال سبحانه

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]

ولما كانت العبادة لا يمكن أن تعرف أحكامها على التفصيل أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل عليهم الكتب لبيان الأمر الذى خلق من أجله الخلق وإيضاحه وتفصيله لهم حتى يعبدوه على بصيرة فقاموا بواجبهم على النحو الأكمل عليهم الصلاة والسلام، دعاة إلى الله سبحانه وتعالى وختمهم بسيد الدعاة إلى الله محمد صلى الله عليه وسلم، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده، ودعا إلى الله سرا وجهرا ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨] وهذه طريقته ومسلكه وسنته يدعو إلى الله على بصيرة ويقين وبرهان عقلى وشرعى ولم يقتصر واجب الدعوة إلى الله على الرسل وحدهم بل جاء أتباعهم من بعدهم فشاركوهم فى الدعوة إلى الله فى كل زمان ومكان، وجاء المسلمون من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا أمانة تبليغ الإسلام على كاهلهم فوضحوا معالمه وبينوا أحكامه فأخذوا بأيدي المتعثرين على الطريق، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا

رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال تعالى ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فهي إذن وظيفة الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وواجب العلماء من أتباعهم ومسئولية المؤمنين جميعا من أمهم، لذا كان العلماء منار البلاد كما قال عبد الله بن أبي جعفر: العلماء منار البلاد منهم يقتبس النور الذي يهتدى به، وقال أبو مسلم الخولاني: مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا، وقال كعب: العلماء قبلتي إذا لقيتهم وضالتي إذا لم ألقهم ولا خير في الناس إلا بهم.

وخلو الساحة من الدعاة إلى الله المخلصين نذير بالهلاك والدمار، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(١)، فالدعاة ضمان لمسيرة الخير في المجتمع وصمام الأمان له.

(١) رواه البخاري ج ١ كتاب العلم. باب كيف يقبض العلم.

والدعوة إلى الله واجب عام، وفريضة مستمرة والاضطلاع بأعبائها في تكافل وتعاون، يجعل من العمل المشترك استمراراً لجهاد رسل الله وإعلاء كلمة الله، ونشر دينه وإقامة حجته على الناس وثمرتها: الهداية إلى الخير والتحبيب في عمل الخير والتنفير من الشر والإخراج من الظلمات إلى النور بدعوة الناس إلى دين الله وتحكيم منهجه وإفراجه بالعبادة والاستعانة وإحقاق ما أحق وإبطال ما أبطل وهي من أشرف الأعمال، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

أمان الدعوة إلى الله :

لابد للدعاة من المعرفة التامة بالدين الذي يدعو إليه معرفة مستمدة من الأصول والمصادر ليكون على بينة وبصيرة، والمصدر الأول والذي ترجع إليه كل القيم والموازين والذي حوى من حقائق النفس والحياة والغيب ما لا غنى عنه لدعاة الحق في أسلوب معجز وبيان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو كتاب الله القرآن الكريم فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل وليس بالهزل ﴿الرَّكْبُ أَهْكَمْتُ أَيَّنُّهُ﴾

ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿ [هود: ١] ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فهي من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وهو وحى الله إليه ، قال سبحانه ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ﴿ [النجم: ٣] ، وكان منهجه صلى الله عليه وسلم فى دعوته إلى الله : أن سلك مسلك الحجة الواضحة والحكمة والإقناع ولم يستجيب لإيذاء معارضيه وقابل السيئة بالحسنة ، اكتفاء بوضوح الحق فى ذاته واعتمادا على ما وهبه الله عز وجل من سر فى داخله يحمله على قبول الحق ، والإذعان له على أن الحق يحمل دليله فى نفسه أمام العقل الإنسانى الذى لا يقع تحت تأثير ميل الهوى ولا ينجذب تحت شدة العصبية وعامل التحيز ويظهر هذا المنهج من خلال هذه الآيات الأتية :

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ [يوسف: ١٠٨] .
وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿ [النحل: ١٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ
وَالنَّهْنَاءَ وَالنَّهْكَمَّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ومن خلال الآيات ترى المنهج النبوي في الدعوة إلى الله يدور
من خلال هذه المحاور:

(أ) الدعوة إلى الله بالحكمة.

(ب) الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

(ج) الجدل بالتي هي أحسن.

(د) القوة.

أولا الدعوة بالحكمة:

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلازم الحكمة في
جميع أموره وخاصة في دعوته إلى الله فأقبل إليه الناس ودخلوا
في دين الله أفواجا بفضل الله ثم بفضل حكمته صلى الله عليه
وسلم التي جاء فيها عن أنس بن مالك كان أبو ذر يحدث أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة
فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم
جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدرى

ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء.. الحديث^(١)، ومن الحديث يتبين أن الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله حيث امتلأ بها صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صاحب الدعوة مع الإيمان، كما يؤكد قيمة وأهمية الحكمة من خلال مجيئها يحملها جبريل وهو روح القدس في طست من ذهب وهو أغلى المعادن في مكة المكرمة وهي البقعة المباركة ليمتلئ بها صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير الخلق، بعد غسله بماء زمزم وهو أطهر الماء وأفضله، فهذا يؤكد أن الحكمة في الدعوة إلى الله أمرها عظيم وشأنها كبير، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فهي الصواب من القول ووضع الشيء في موضعه وهي من العطايا التي منحها الله تعالى له، قال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّنَّا لَكُمُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخَطَابَ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: ٢٠]، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢]، وقال: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

(١) رواه البخاري

وَأَتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ [النساء: ٥٤]، وقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢]، وسار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على طريقه وهديه في الدعوة إلى الله بالحكمة فانتشر الإسلام في عهدهم انتشارا عظيما ودخل في الإسلام عدد لا يحصى وخلق لا يعرف عددهم إلا الله وجاء التابعون وأكملوا السير على هذا الطريق وهكذا سارت القرون الثلاثة المفضلة ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان فأظهر الله الإسلام وأهله وأذل الشرك وأعدائه. ويظن كثير من الناس أن الحكمة تقتصر على الكلام اللين والرفق والعفو والحلم فحسب لكن هذا نقص وقصور في فهم مفهوم الحكمة فإنها قد تكون:

باستخدام الرفق واللين والعفو مع بيان الحق علما وعملا واعتقادا بالأدلة وهذه المرتبة تستخدم لأذكىاء البشر الذين يقبلون الحق ولا يعاندون.

وتارة تكون باستخدام الموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل وتستخدم هذه المرتبة مع القابل للحق العترف به لكن عنده غفلة وشهوات وأهواء تصده عن الاتباع.

وتارة تكون باستخدام الجدال بالتى هى أحسن بحسن خلق
ولطف ولين كلام ودعوة إلى الحق وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية
ورد الباطل بأقرب طريق وأنسب عبارة وتستخدم هذه لكل جاحد
معاند.

وتارة تكون الحكمة باستخدام القوة بالكلام القوى وبالضرب
والتأديب وإقامة الحدود لمن كان له قوة وسلطة مشروعة، وبالجهاد
فى سبيل الله بالسيف والسنان تحت لواء ولى أمر المسلمين مع
مراعاة الضوابط والشروط التى دل عليها القرآن والسنة وتستخدم
هذه مع كل معاند ظلم وطفى ولم يرجع إلى الحق بل رده ووقف فى
كل طريقه ليصد عنه وما أحسن ما قيل:

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يجب

وقد لان منه جانب وخطاب

فلما دعا والسيف صلتُ بكفه

له أسلموا واستلموا وأنابوا

والحكمة تجعل الداعى إلى الله يقدر الأمور بقدرها ويراعى أحوال
المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطباعهم فتخرج أقوال الداعية إلى الله
وأفعاله وتدبيراته وأفكاره تابعة من هذه الحكمة موافقة للصواب
غير متقدمة على أوانها ولا متأخرة، لا زيادة عما ينبغى ولا نقص.

ثانيا: الموعظة الحسنة:

وهى طريقة فى التبليغ وأسلوب فى الدعوة يحببها إلى الناس ويقرّبهم منها ويشعر المخاطب فيها أن دور الداعى له دور الناصح الرفيق به ، الباحث عما ينفعه ومن الأمثلة :

قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴾ [طه: ٤٤]، وسلك الخليل مع قومه سبيل المناجاة الذاتية وكذا شعيب يسلك مع قومه الموعظة الحسنة فيقول لهم: ﴿ يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [هود: ٨٦].

ثالثا: المجادلة بالتي هى أحسن:

وهى الطريقة التى يواجه بها الداعية رد الفعل الذى تثيره الدعوة لدى المخاطبين نتيجة اختلاف أفكارهم عما جاءتهم به من عقيدة وسلوك، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

رابعا: القوة:

وتتلخص فى قوة الكلمة والقوة الفعلية مع الكفار باستخدام الجهاد فى سبيل الله تعالى، وكذا منها التهديد الحكيم والوعيد عليه

بالعقوبة، ومنها القوة بالعقوبات الشرعية والأمثلة على ذلك كثيرة.

هذا هو منهج النبي صلى الله عليه وسلم فى الدعوة إلى الله تعالى وبه انتشر الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها، وصدق فيه قول الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفى الكتاب الذى بين أيدينا جهد وافر ورؤية معمقة لمنهج الدعوة وأسلوبها نسأل الله أن ينفع به المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وأن يجعله فى ميزان صاحبه يوم القيامة، كما نبتهل إلى الله أن يكتب لهذا السفر العظيم القبول بين الناس، وأن يعاد طبعه مئات المرات لتعم الفائدة ويستفيد منه شباب الدعاة.



القرآن وأسلوب الدعوة في مكة والمدينة

بقلم: د. محمد وهدان

الأستاذ بجامعة الأزهر

إن استقراء ما نزل من آيات مكية تتحدّث عن أسلوب الدعوة في مكة، وكيفية التعامل مع الخصوم، والتأمل في المسيرة التي انتهجها الرسول وأصحابه في حمل الدعوة والتبشير بالإسلام، تكشف لنا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويتبع أسلوب الحوار الفكري، والإقناع العلمي، ولم يستعمل العنف، ولم يشرع باستعمال القوة في مكة، رغم ما لاقى هو وأصحابه من أذى واضطهاد، وفرض للحصار الاقتصادي والاجتماعي عليه، وعلى أصحابه وأعمامه، في السنة العاشرة من البعثة. والقرآن رغم كل ذلك أمر النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بالصبر والتحمل، وفتح الآفاق النفسية، وشرح الصدر، واللجوء إلى أسلوب الحوار العلمي، والإقناع المنطقي لهداية الناس، وإصلاحهم.. فهو نبي جاء بالهدى والإصلاح، وليس متسلطاً يخضع الناس بالقوة والإرهاب.

ولكى يتضح أسلوب الدعوة، ونمط الخطاب فلنقرأ بعضاً من النصوص القرآنية التي حددت موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الأذى والعدوان والاضطهاد والإرهاب الذي استعمل ضده و ضد أصحابه، وضد من يستمع إلى خطابه ودعوته..

قال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤].

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦].

﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص: ٥٤].

﴿ وَقِيلِهِ يَرْبِ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [فاصَّحَّ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] [الزخرف: ٨٨ - ٨٩].

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ

السَّاعَةَ لِأَنِّي قَدْ فَصَّحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ [الحجر: ٨٥].

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣].

﴿وَقُلْ لِمَعَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ

الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عُدُوًّا مُّبِينًا﴾ ﴿٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣]. وهكذا

نجد القرآن يثبت منهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. إنه

يدعو إلى الحوار والتفاهم إذ يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

إنه لم يتهم الطرف الآخر ولم يستفزه، بل دعا إلى رحلة حوار

للبحث عن الحقيقة، ليعرف الطرفان أين الحق والصواب، بل ويتخذ

أسلوباً سلمياً آخر حينما يقول لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ﴿٦﴾

[الكافرون: ٦].

إنه يدعو الآخر إلى التعايش، وإن لكل دينه وعقيدته وليدع

كل منهما بدعوته، وليتحمل مسؤوليته، فالإنسان الذي يستعمل

عقله وضميره وحسّه الأخلاقي سيكتشف أين الحقيقة، فإنه

مطمئن إلى انتصار منهج العلم والعقل.

ويتسامى منهج الدعوة ونمط الخطاب وأخلاقية الإنسان
 الحامل للدعوة الإسلامية، يتسامى بالدعوة إلى الصبر والتحمل،
 وعدم استعمال الرد والعنف، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾
 [المزمل: ١٠].

﴿ فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المعارج: ٥].

﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ
 يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ فُهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا
 الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الاحقاف: ٣٥].

ثم ينتقل إلى مرحلة أخلاقية أسمى من مراحل المنهج
 الأخلاقي والسلوكي فيدعو إلى المغفرة والصفح الجميل.. ﴿ قُلْ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الجاثية: ١٤].

ويتسامى منهج الدعوة في التعامل والخطاب إلى موقع أعلى
 فينادى بمقابلة الإساءة بالإحسان، لرفع الحواجز النفسية
 والفكرية، وتوفير الأجواء والظروف الكافية لفتح العقول والقلوب
 على مبادئ الحق والإيمان.. يتضح ذلك من قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي
يَبْتَغِيكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤].

ثم يسترسل في الثناء على هذا الأسلوب في الدعوة فيوضح
أن الذين يرتقون إلى هذا المستوى هم ذوو حظ عظيم، وأصحاب
إرادة وصبر جميل.. ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا
ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥].

إنه الصبر والعفو والصفح والسلام، ومقابلة الإساءة بالإحسان،
ذلك منهج القرآن في دعوته، وتلك سيرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم العملية في الدعوة وتبليغ الرسالة، ولكن الأشرار
لم يستجيبوا لكل ذلك، فواجهوه وأصحابه بالعنف والإرهاب
والقتل والتعذيب والحصار والحرب النفسية والإشاعات والتهم
الباطلة، ومع ذلك صبر وغفر.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن هذه الآيات، وإن نزلت في مكة،
ورسّمت أسلوب الدعوة في تلك البيئة والظروف، إلا أن تلك
الآيات لم تنسخ، ولم تفقد دورها كأسلوب وطريقة في نشر الدعوة
الإسلامية، وإن ما جاء من آيات الجهاد كان لردع الطغيان
والفساد وحماية حرية الفكر، والدفاع عن الحق والعدل والهدى،
وليست أسلوبا ناسخا لما جاء في هذه الآيات وأمثالها.

والمرحلة الثانية من مراحل الدعوة فى العهد النبوي.. عصر التشريع ، ونزول الوحي ، واكتمال الرسالة.. المرحلة الثانية ، كانت فى المدينة المنورة ، وهى الفترة التى امتدت عشر سنوات ، من يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها وحتى وفاته فيها.

وفى المدينة المنورة تمّ بناء الدولة والمجتمع الإسلامى إلى جانب الدعوة إلى الإسلام.. وكما هو واضح وثابت تاريخياً فإنّ سبب الهجرة ، هو الإرهاب والظلم والعدوان ضدّ النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته والمؤمنين به والمتعاطفين معه ، كما هاجر الآخرون إلى الحبشة قبل ثمان سنوات من الهجرة إلى المدينة.. فقد مارست قريش القتل والتعذيب والحصار الاقتصادى ، والإرهاب الفكرى والاضطهاد الاجتماعى ، فلم تفلح فى تحقيق أهدافها.. فقررت قتل النبى صلى الله عليه وسلم والتخلّص منه.

وهكذا خططوا لقتله وقرّروا ذلك.. وليلة التنفيذ أخبر الله سبحانه نبيه بما يريدّه أولئك الأعداء ، فخرج مهاجراً إلى المدينة المنورة ، بعد أن أصبحت له قاعدة فيها وأنصار ، وبيعة تعهد فيها زعماء المدينة بنصرته ، والدفاع عنه ، وعن الدين الذى يدعو الناس إليه.. وحين استقر النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة

التي تبعد عن مكة حوالى (٤٥٠) كم، شرع ببناء الدولة والمجتمع على أساس مبادئ الإسلام.. مبادئ الحق والعدل والإيمان، وقيم الأخلاق التي بشر بها القرآن، لقد نصّ القرآن على بناء الدولة على أساس العدل وسيادة القانون واحترام إرادة الأمة، جاء ذلك فى النصوص الآتية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾
[النساء: ٥٨]

وثبت مبدأ سيادة القانون فى الدولة فخطب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨]

فالنبى صلى الله عليه وسلم إلحاكم مكلف باتباع القانون وتنفيذه.. وفى الآية الآتية يؤكد القرآن احترام إرادة الأمة والتشاور معها، والتعامل الإنسانى الشفاف، فخطبه بقوله: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَّلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهكذا انتقل الإسلام بالمجتمع العربى فى المدينة من الحياة القبلىة، والصراعات التى كانت بين القبائل، إلى الدولة وبنائها على أرقى الأسس الحضارية، على أساس العدل، وسيادة القانون، واحترام إرادة الأمة ورأيها.. وراح الرسول صلى الله عليه وسلم يواصل دعوته إلى الإسلام فى أنحاء الجزيرة العربىة كافة، منطلقا من هذه القاعدة السياسىة، الدولة التى يقودها فى المدينة..

ولما كانت هناك موجبات لحماية الدعوة والدولة، وأنها مهددة بغارات الأعداء، والقوى المعادية من حولها.. دولة الفرس فى الشرق، والروم فى الغرب.. وتكفل اليهود فى المدينة، وقوى قريش فى مكة التى أخرجته منها، وما زالت تتعقبه، وتعمل على القضاء عليه، وعلى دعوته.. وكما يشهد الواقع التاريخى فإن كل الظروف القائمة من حول الدعوة آنذاك تُشعر بالخطر على الوضع الحضارى الجديد.. وإن لغة العصر، وظروف المرحلة لا تعرف غير العنف والقوة.. والرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بوسائل الفكر والحوار العلمى، وبالحكمة والموعظة الحسنة، كما شهدت المرحلة التاريخىة التى عاشتها الدعوة فى مكة ثلاثة عشر عاما..

وإذا فمن المنطقي والضروري أن يتبنى هذا الدين أداة القوّة للدفاع والحماية والوقوف بوجه الطغيان والإرهاب الموجه ضده، وضدّ المستضعفين فكريا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا في ذلك العالم الذي يسعى هو لتحريره وإنقاذه.. إنّه يريد أن يحرر الإنسان من العبودية، ولتلك الأوضاع قوى مسلحة تحميها وتضطهد الإنسان، ولا تستجيب لمنطق العقل، ودعوة العلم والمعرفة.. من هنا كان لابدّ من أن يُشرع الجهاد لمواجهة تلك الأسباب مجتمعة، ولهذا دعت الضرورة لتشريع الجهاد والقتال للدفاع، وإزالة الظلم والطغيان الذي تحصن بالعنف والقوّة والإرهاب.. ولمزيد من حفظ الأمن والسلام، وكف نذر الحرب والقتال، شرع الإسلام نظام الميثاق والعهود، ووضع له قوانينه وأحكامه الخاصة، وابتدأ بمعاهدة سلام مع اليهود المقيمين في المدينة، في السنة الأولى من وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إليها.. ثمّ توقيع معاهدة صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة.. وبهذا النظام ثبت أسلوبا حضاريا آخر من أساليب الدعوة العقائدية والسياسية.



محمد ﷺ أعظم الدعاة
صفات ومهام الداعية

بقلم

د. عبد السلام جاد بسيوني

١ - دعوة الأنبياء ودعوة العلماء

يقول الله تعالى في كتابه ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ [البقرة: ٢٣].

وفي سورة يوسف يصف سبحانه وتعالى حال ابن يعقوب وهو يقاوم دعوة الغواية مفضلا سجن الجسد على خيانتته وخيانة الله ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣]. وفي الآية الأولى كان المعنى من الدعاء والاستغاثة، وفي الثانية كان الحث على قصد الشيء والمعنيان اشتقا من مادة دعا، ويقال: دعا الله بمعنى رغب إليه وابتهل، ومنها الدعاية أى الترويج لأمر أو مذهب بالكتابة أو الخطابة ومنها الداعية أى الذى يدعو إلى دين أو فكرة. وفي أولى مراتب الدعاة يأتى الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين، وفي السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشيرته الأقربين والناس أجمعين أبيضهم وأسودهم وأصفرهم وأحمرهم

صغيرهم وكبيرهم وأميرهم وأمورهم إلى دين الله، وكذلك فعل مع ملوك وأمراء ورؤساء عصره فأرسل إلى كسرى ملك فارس رسالة يقول له فيها: «أدعوك بدعاية الله» وأرسل مثلها للمقوقس عظيم القبط في مصر يدعوه بدعاية الإسلام وإلى النجاشي عظيم الحبشة يدعوه إلى الله، وفي رسالته إلى الحارث الغساني بالشام دعاه أن يؤمن بالله لا شريك له.

ومن حيث العرف فالدعوة هي حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة ليست هي الدين نفسه بل هي استحضار الدين كسلوك واقعي محسوس وهذا هو تصور مفهوم الدعوة في الإسلام.

والمعنى على هذا النحو السابق يكشف عن عدم دقة التعريف الذي أورده الشيخ محمد الراوي في أحد مقالاته، وخلط فيه ما بين مفهوم الدعوة ومفهوم الدين، ولم يفرق بين الدعوة كحركة لبناء الدين علمياً في نفوس الناس، والدين كضابط لسلوكهم. هذا الدين الذي نزل به جبريل الأمين على نبينا المعصوم.

والدعوة إلى الله درجات ومراتب كما أسلفنا أو كما وضح فضيلة الشيخ على محفوظ حين وضع دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في أعلى مرتبة وقال إن دعوتهم راجحة على دعوة غيرهم، ودليله إلى ذلك أنهم جمعوا بين الدعوة بالحجة

والدفاع عن الحق وأهله في آن ، وأنهم (أنبياء الله ورسله) كانوا البادئين ثم جاء من بعدهم العلماء فتبنوا دعوتهم على دعوة الأنبياء والرسل والسابق أفضل من اللاحق ثم إن نفوسهم أقوى وأرواحهم أصفى وتأثيرهم في إحياء القلوب الميتة أقوى وإنارتهم للنفوس المظلمة أكمل وبعد الأنبياء في المرتبة الثانية يأتي العلماء وهم على ثلاثة أقسام :

أولها: العلماء بالله وهم الحكماء الذين قال الله فيهم ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وثانيها: العلماء بصفات الله وهم أصحاب الأصول.

وثالثها: العلماء بأحكام الله وشريعته وهم الفقهاء والذي حدث أنه بعد نيف ومائتي عام من رسالة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم حينما كان الإسلام يواصل رحلة صعوده وانتشاره في الأرض بعزيمة رجال لم تفتر همتهم في توصيل رسالة الله لسائر خلقه وكانت المهام مقسمة فهناك من الرجال من ينفر للجهاد وهناك من يعكف على التعليم وغيرهم ممن عكف على دراسة مواضع الدين وحكمه وآدابه وما يحض منها على مكارم الأخلاق وجلائل الأعمال هؤلاء الذين عرفهم الناس بزهدهم ونسكهم.

وأيضاً كان هناك الذين اتجهوا إلى فرع آخر من فروع العلم وهو تعريف الأصول والاستدلال على وجود الله تعالى وصفاته وإرسال الرسل وإمكان وقوع المعجزة وهؤلاء عرفهم الناس بالمتكلمين.

ونفر ثالث غاصوا في تخريج الأحكام وإظهار الحلال والحرام استنباطاً من كتاب الله وسنة نبيه هم الفقهاء.

كان هؤلاء وأولئك جميعاً على جانب عظيم من التقوى والورع والعلم والعمل وفي أحوالهم تلك كانوا دعاة إلى الله يأمرون بتوحيده وإفراده ويحضون على طاعته ويرشدون الناس إلى صراطه المستقيم ويدعونهم إلى الخير ليس بالكلام ولا الخطب الرنانة ولكن بالعمل وتقديم أنفسهم قدوة صالحة وأسوة حسنة مبنية على إدراكهم لمقت الله لهؤلاء الذين قال فيهم سبحانه وتعالى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣) [الصف: ٣]. فالنقل يدن الإنسان يميل إليه بفطرته ويزداد شوقه إلى المثل العليا، وتتضاعف همته وتهيب به الاهتداء بل المنافسة.

لكن يبقى للقضية وجه آخر يتمثل في خلق الإنسان الذي جلبه الله تعالى على الاختيار الحر فخيرته في ذلك على الملائكة.. وهذا الاختيار الحر الذي يصل إليه الإنسان عن طريق العقل،

وهنا يبرز سؤال: هل يستطيع العقل البشرى أن يدرك بذاته أو يفرق بدقة بين الحق والباطل والنافع والضار والخير والشر؟ الأمر يحتاج إلى مزيد من التوضيح ؛ إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان فى أحسن تقويم وكرمه وفضله على كثير من خلقه حين وهبه نعمة العقل والإرادة فميزه عن سائر المخلوقات. وإدراك الإنسان ينقسم إلى نوعين: إدراك حسي، وإدراك عقلي.

فالإدراك الحسى تؤديه الحواس (السمع ، والبصر، والشم، واللمس، والتذوق) ويحدث هذا بمعونة العقل، وعن طريق تلك الحواس يتم إدراك الكائنات الحسية المحيطة بنا فى السموات والأرض.

أما الإدراك العقلى فيؤديه العقل عن طريق خاصية الفكر وعن طريق هذه الخاصية يمكن أن ندرك دلالة المخلوقات على الخالق أو دلالة الكائنات على الله سبحانه وتعالى.

وبعبارة أخرى فالإدراك الحسى خاص بالجانب المادى فى الكون والإدراك العقلى خاص بالجانب المعنوي، وعن طريق هذا الإدراك نستطيع أن نتمثل صفات الخالق فى خلقه.. صفات القدرة والعلم والحكمة والرحمة والكرم وصفات أخرى كثيرة فالكائنات هى آثار لصفاته سبحانه وتعالى.

إذا أبصر الفكر تلك الآثار فإنما يبصر الطابع المعنوى الذى يستشعر به القلب صفة العظمة مثلا ومعناها وصفة القدرة ومعناها إلى آخر صفات الجلال والكمال مع التعليم بذلك وهو ما يطلق عليه الإيمان والاعتقاد بوجود الله سبحانه وتعالى. وهنا نعيد طرح السؤال الذى سبق أن طرحناه: هل يستطيع العقل بذاته أن يدرك الإيمان دونما حاجة إلى مساعدة؟ هو يفعل إن شاء الله؛ لكن نحن نسأل عن قدرة العقل سؤالاً مجرداً وفي هذه الحالة تكون الإجابة: إن العقول البشرية وحدها لا يمكنها الاستقلال بتمييز المصالح الدنيوية عن الأخروية ولا تهتدى وحدها بالتمييز بين المتقابلات (الخير والشر مثلا) وليس من طبيعة وتكوين العقل البشرى الوقوف على حقائق الأمور أو تدبير شئونها على نظام محكم وعادل لا خلل فيه ولا انحرافاً حتى ولو بلغت هذه العقول حدها الأقصى من الإدراك فقد يسيطر عليها الهوى وتغشاها الشهوات فتميل عن الحق إلى الباطل وتتحول عن الصلاح إلى الفساد وترى الشر خيراً فتنجذب إليه.. وهنا نقرر أن العقل لا يصلح وحده للاعتماد عليه فى قضية الإيمان وأبرز دليل على ذلك الحضارة المادية الملحدة التى أعلنت كذباً من قيمة العقل فضلت وهوت ورفضت الإيمان بالغيب الذى لا تدركه الحواس (حتى الحواس يمكن أن تكذب صاحبها

فتخضع البصر وتريه الماء سرايا أو يحدث خللا في الحواس
فيتعطل عملها أو جزء منها وتنحرف عن الإدراك السليم).

والنتيجة التي تقودنا إليها هذه المقدمات إنه لا يمكن الاعتماد
فقط في قضية الإيمان على العقل والإدراك ومن هنا كانت حاجة
البشر إلى الرسل مصداقا لقوله تعالى ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
إِثْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾
[النساء: ١٦٥].

وحتى يسأل سائل: وماذا لو لم يبلغ إنسان !؟ والإجابة في
كتاب الله سبحانه وتعالى ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَزَرَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

لقد شرط الله حساب الناس يوم القيامة بتبليغهم الرسالة
وحين التبليغ فقد انتفتت الحجة « لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل » فيقولون ما أرسل إلينا رسولا أو ما أنزل
الله علينا كتابا وفي التنزيل: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ
لَقَالُوا إِنَّا لَوَاقِنٌ لَّوَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ
وَنُخَزِنَ﴾ [طه: ١٣٤].

ودليل ما سبق إنه في قضية الإيمان أرسل الله للإنسان عوناً لعقله ويبقى العقل أداة للفكر والتمييز حين يسىء الإنسان استعماله فيضله وكذلك سائر الحواس ومن هنا نعى الله سبحانه وتعالى على الكافرين ذلك وشبههم بالحيوانات العجماء التي لم تنتفع لا بالعقل ولا بالجوارح يقول الله تعالى في وصفه لهؤلاء ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ لَّا تَعْقِلُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

لماذا يارب؟! لأنهم اتبعوا هواهم وشياطينهم وافتتنوا في عقولهم حين اعتمدوا عليها فلم يستدلوا بها على خالقها وأضلهم هواهم فأعمى قلوبهم عن إدراك الحق مصداقاً لقول الله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَآتَعْمَى الأَبْصَرَ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

ولما كان من جهله شروط الإيمان بالله.. وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إلى آخر هذه الغيبيات التي لا يدركها الإنسان بعقله أو بحواسه. فكيف للإنسان أن يتعرف على ذلك وبأى حاسة يمكن إدراكه يقينا؟! إن ذلك لا يكون إلا بتوفيق

الله سبحانه وتعالى وتوفيق من نبي مرسل . أى بنص توقيفى
أى نص شرعى يتعلق بقضية الإيمان .

هذا النص لم يكن ليختص به إلا بشر معصومون مؤهلون
لحمل رسالة الله فلا يأتيهم الباطل بين يديهم ولا من خلفهم
وهكذا أرسل الله الرسل بعد أن اصطفاهم من خلقه ووضعهم على
عينه وأرسلهم للناس بمنهجه وشرعته يوضحونها جلية مبصرة
وبجانب الشرائع يبسطون لهم المعاملات ويرغبونهم فى حسن
الأخلاق ليكون الناس على بينة مما هو مطلوب منهم على وجه
التحديد فيعبدوا ربهم وقيموا دينه أصح عبادة وخير قيام من الله
ورحمة بعباده ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء :
١٠٧] . رحمة بهم حين يعرفهم بربهم ويعرفهم الطريق إليه
فيعتصمون بالإيمان ورحمة لهم حين يعرفهم الحقوق المشروعة
ويوصيهم بالفضائل والخير فلا يصيبهم من أنفسهم شر يمزقهم .

٢ - تحديد الهدف والتعرف على مجتمع الدعوة

القاعدة الثانية التى قام عليها المنهج الإسلامى فى الدعوة
هى : تحديد الهدف . ومنذ اللحظة الأولى التى اضطلع فيها
الرسول صلى الله عليه وسلم ، بتبليغ رسالة ربه ، كان الهدف قد

تحدد في ذهنه وفي نفسه، وعلى النقيض أخطأت قریش حين نظر سادتها لدعوة رسول الله بمقاييس المصالح الدنيوية، وعلى هذا الأساس وجه إليه الوفد تلو الآخر يساومه أن يتنازل عن الأمر مقابل كل المغانم التي يمكن أن يطمح إليها أهل الدنيا: المال والشرف والملك، وهذا ما رفضه الرسول رفضاً قاطعاً.. لماذا؟ لأنه كما قال صلى الله عليه وسلم، لم يأت بما أتى به يطلب الدنيا دون الآخرة ولكن بعثه الله رسولا وأنزل عليه كتابا وأمره أن يبشر وينذر، وما هو يبلغ رسالات ربه وينصح لهم، وحين قال الرسول ما قاله كان يصدر عن الوحي وكان مؤيدا بكلام الله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧] ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]

اختلف لفظ السماء عن لفظ الرسول لكن المعنى تطابق.. رسول الله ما اتبع إلا وحي الله الذى أوحى إليه وتنزيله الذى نزله عليه فى كل ما يصدر منه، ولم يسأل فى تبليغ رسالته عن جعل أو مال، فالدعوة لم تكن ولن تكون مصدر تمويل وارتزاق، فهناك أسباب وأبواب أضمن للرزق والله ضمن لكل مخلوق رزقه ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦٥]

.. خطوة أخرى يخطوها الرسول وتؤديها السماء في تحديد

الهدف حين ينزل قرآنا يقرر: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]

والآيات واضحة، إذا كان الداعي قد سما عن أطعام أهل الدنيا وارتفع فلا زالت قدماه تلامسان الأرض فلا يصح أو ينبغي أن يدعى لنفسه خاصية من خواص الإلهية.. وهذا مزيد من التوضيح لبشرية الرسول الراعى فى استلهاام البشر للكمال الإنساني، وحين ينفى رب العزة على لسان رسوله ادعاء هذه الخواص الإلهية فهو يبرئه من كل باطل يشوش على هدف الدعوة التي تقصد أول ما تقصد إلى أفراد الله بالتوحيد والربوبية وتنزهه عن الإشراك فى ملكه، لكن هيهات أن يتفكر عميان القلوب، الذين ذهبوا فى غمرة جهلهم يعرضون على رسول الله أن يكف عن سب آلهتهم مقابل صفقة يعقدونها معه، فيعبدون إلهه سنة ويعبد آلهتهم أخرى، فجاء الوحي يترجم ما استقر عليه فؤاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إحاطة بالذات والزمن معا يقرر: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا آلَ الْكَافِرِينَ﴾ (١)

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا
 عَبْدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴿
 [الكافرون]، هو صلى الله عليه وسلم لا يصح ولا ينبغي ولا يمكن
 أن يشرك بالله عبادة لما هو عليه من النبوة، وهم لا يعبدون ربه
 الذى يدعو إليه لأنهم وقت الخطاب كافرون، وفي هذه اللحظة
 لا يمكن أن يلتقى الطرفان فى العبادة الصحيحة، والنفى هنا
 ليس تعصبا من الرسول وذلك لما يتصف به كل طرف، هو نبي
 وهم كافرون، هم يعبدون باطلا وهو يعبد حقا، هو فيصل التفرقة
 بين هدف الدعوة الصحيحة وكل دعوة باطلة ضالة تحاول أن
 تخدع المخلصين ببريق الألفاظ ومعسول السموم، إذن فلكل دينه
 وهو برىء من شركهم والله شهيد بينه وبينهم:

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ
 لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْتَكُمْ لَنَشْهَدُنَّ أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْإِلَهَةَ أُخْرَى قُلْ لَا
 أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَجِدُّ وَإِنِّي بِرِئِئِمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

٣ - التعرف على طبيعة المجتمع

القاعدة الثالثة التى صدر عنها أعظم الدعاة، والتى قام عليها
 المنهج الإسلامى: هى التعرف على طبيعة المجتمع الذى يتوجه

إليه الداعى بدعوته ، والمقصود هنا بطبيعة المجتمع عاداته وتقاليدته وأنماطه الثقافية وهذه المعرفة جزء مهم من وظيفة الإخصائى الاجتماعى الذى يعمل فى مجال الخدمة الاجتماعية . ووسيلته فى بلوغ هذا الهدف ؛ الدراسة النظرية التى تحتاج إلى زمن وقد تؤدى فى النهاية إلى تعرف سطحى من جانب الخادم أو الإخصائى الاجتماعى ، وهنا تبرز عملية المنهج الإسلامى فى العمل مع الجماعة بصورة أجل وأسمى وأشمل وأوسع حين تطلب تبادل المعرفة بين الطرفين ، فالداعى يتعرف على طبيعة المجتمع ، والمجتمع يتعرف على طبيعة الداعى .

وقد يبدو للبعض أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد توجه برسالته إلى مجتمع ضيق صغير تمثل فى قريش أو أهل الجزيرة العربية على وجه المبالغة ، لكن الحقيقة أن طبيعة الرسالة باعتبارها خاتمة رسالات السماء استوجبت أن تتسع الرسالة وتتسع رؤية الداعى لتشمل الإنسانية كلها فى مشتركاتها الأعم والأشمل ، وهذا لم يمنع أن يتوجه رسول الله للخلية الأولى المتمثلة فى المجتمع الذى ولد ونشأ وتربى فيه تصحبه عصمة إلهية لا يقدر معها على الانجذاب أو الانغماس فى مثالبه . وبعبارة أخرى كان إيجابيا مع الحياة الفاضلة .

لقد عاش النبي عليه الصلاة والسلام مع المجتمع الذى سينقل إليه الدعوة فامتحن مهنة واشتغل بأشغاله ، وكان راعيا للغنم ، وكان تاجرا سافر بتجارته فشارك القرشيين رحلة الشتاء والصيف ، وانضم إلى بعض الأنشطة الاجتماعية الإيجابية فاشترك فى حلف الفضول ، وكان قاضيا فى مدلهمات الأمور ففصل بذكاء كبير فى مسألة نقل الحجر الأسود ، ومنع فتنة كادت أن تنشب أظافرها فى مكة ، وعلى مستوى الأخلاق اشتهر بالصدق والأمانة ولم يعرف عنه السجود أو الاحتفال بصلوات أو معاقرة الخمر أو إتيان الميسر أو الذبح على النصب ، وفى السيرة إنه لما حدثته نفسه صيبا على الاشتراك فى لهو واحتفالات المناسبة ، فقد عصمه الله جل شأنه منذ اختاره لهداية البشر بشيرا ونذيرا . ولم يحظ نبي من الأنبياء ولا زعيم من الزعماء فى غابر الزمان مثل محمد صلى الله عليه وسلم لأنه فى هذه الحياة كان حاضرا فى مجتمعه شامل حضوره بالممارسة التى تفوق خدمة العمل مع الجماعة فى العصر الحديث فسجل بذلك منهجا نظريا وتطبيقيا خالصا بالأسبقية التاريخية والعملية للدعوة الإسلامية .

٤ - تربية القيادة على المستوى الفكرى

كان هناك أيضا إعداد على المستوى الفكرى يشمل الرسالة والدعوة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ أصحابه الوحي

وهو أقدر الناس على تفهم أسلوب القرآن وكانوا يستقبلون ذلك بصدورهم التي هي أكرم وأطهر وأصفى وعاء يعى ويحفظ ما جاء به الوحي الأمين، ومن بعد الصدور كانت العقول صافية واسعة الفهم عميقة الإدراك يعكس هذا بجلاء تلك المناقشة التي دارت بين جعفر بن أبي طالب والنجاشي حين وقف الأول في حضرته ممثلاً وفد المهاجرين إلى الحبشة ومتحدثاً عنهم:

سأله النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟ فجاوبه جعفر: كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء ونهاننا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

ومضى جعفر يعدد على النجاشي أمور الإسلام.. النظرية والتطبيقية معاً، ثم قرأ عليه القرآن حتى بكى هو وأساقفته،

وقال مقالته التاريخية: (إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة) وبقي هذا الحوار وثيقة حفظها لنا التاريخ تعكس المستوى الفكرى الذى درج عليه أتباع محمد والمستوى الوجدانى الذى زرعه بداخلهم الرسول والرسالة.

ولا تكتمل منظومة الإعداد العقلى والنفسى إلا بتوفير الاستقرار الاقتصادى أو على الأقل الحد الأدنى منه، وفى مرحلة إعداد القادة أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم على عاتقه كفالة من دارت عليه دائرة العوز، يقول البيهقي: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسلم الرجل والرجلان ممن لا شىء لهما ضمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرجل الذى فى يده السعة فينال من فضلة طعامه»، وهناك فى هذا السياق قصة إسلام خالد بن سعيد: هذا الفتى الذى انتهره أبوه وغضب عليه حين علم بإسلامه وحلف ليمنعه القوت فانصرف إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان يلزمه ويعيش معه بعد أن قال لأبيه: «إن منعتنى فإن الله يرزقنى».

وهذه قاعدة أخرى فى تربية الدعاة أساسها العزوف عن زينة الحياة الدنيا رغبة فيما عند الله وهذا المستوى من التربية اجتازه تلاميذ المدرسة الأولى فى الإسلام وفى الدعوة من خلال اجتماعهم فى دار الأرقم بن الأرقم. وحين قدم أبو ذر من بعيد

يستطلع أمر الإسلام دون أن يسأل أحدا من كفار قريش ويات ما شاء الله له أن يبنيته في مكة ، فلما قدم على النبي عليه الصلاة والسلام يسأله : فمن كان يطعمك ؟ قال : ما كان من طعام إلا ماء زمزم.. والسؤال يكشف عن حرص السائل على رعاية الجانب الاقتصادي بالقدر الذي يكفل الحياة الإنسانية ويبلغ القدرة على أعباء العمل والجهاد.

كان إذن تهيئة القدر المالى للقادة أمرا مهما لأنه يعينهم ويسعفهم على العيش وينأى بهم عن ضغط المعاندين وأذى الكفار.. وهذا الأمر نفسه يردنا مرة أخرى إلى سؤال : هل كانت دعوة محمد صلاة الله وسلامه عليه سرية؟! ..

أرى أن السؤال لا بد أن يسبقه سؤال آخر: هل كان أمر نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا؟! وحوادث التاريخ وما وصلنا من الثقات عن سيرة رسول الله تجيبنا عن السؤالين: ولقد عرفنا منها خبر إسلام السابقين ومنهم زوج الرسول خديجة بنت خويلد أول من آمن من النساء، دفعها إلى ذلك كمال عقلها وذكاء وسلامة فطرتها، ثم إسلام أبى بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار، وإسلام زيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، وإسلام على بن أبى طالب أول من أسلم من الصبية رضى الله عنهم أجمعين.

وفى السيرة أن العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم، خرج فى تجارة إلى اليمن فى ركب فيه أبو سفيان بن حرب، فورد كتاب من حنظلة بن أبى سفيان فيه أن محمدا أقام بالأبطح فقال: أنا رسول الله أدعوكم إلى الله، ففشا ذلك فى مجلس اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال: بلغت أن فىكم عم هذا الرجل الذى قال ما قال؟ قال العباسى: فقلت نعم، قال: أنشدك هل كانت لابن أخيك صبوة وسفه؟ قلت لا وإله عبد المطلب، ولا كذب ولا خان، وإن كان اسمه عند قريش «الأمين». قال فهل كتب بيده؟ قال العباسى: فظننت أنه خير له أن يكتب فأردت أن أقول: نعم، فخشيت من أبى سفيان أن يكذبنى ويرد على، قلت: لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود..

كان هناك حديث متواتر فى مجتمع مكة عن نبي آخر الزمان وكانت اليهود تستفتح على كفار العرب تقول لهم إنه قد أطل زمان نبي يبعث فى آخر الزمان نقاتلكم معه وكان مجتمع مكة يعرف ظاهرة الحنفاء ولا ينكرها حيث لا خطورة منها على مصالحه وقيمه التى ارتضاها.. وهذا الأمر ذاته الذى تصوره كفار قريش فى البداية وبعد أن عرف بنبوّة محمد صلاة الله وسلامه عليه، وفى السيرة عن ابن عفيف الكندى عن أبيه عن جده قال:

كنت امرأة تاجرا فقدمت للحج، فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة قال فوالله إنى لعنده بمنى، إذا رجل خرج من خباء قريب منه ينظر إلى الشمس لما رآها قام يصلى ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذى خرج من ذلك الرجل فقامت خلفه تصلى ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلى.. قال: فقلت للعباس: يا عباس ما هذا؟! قال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قلت: من هذه المرأة؟! فقال امرأته خديجة بنت خويلد.. فقلت من هذا الفتى؟ قال: على بن أبى طالب ابن عمه.. قلت فما هذا الذى يصنع؟ قال يصلى فهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه تفتح له كنوز كسرى وقيصر.

ومن الرواية نفهم أن الدعوة نفسها كانت معروفة للناس، ولكن الذى وصف بالسرية فى هذه المرحلة هو العمل لها وهو الذى نطلق عليه مرحلة إعداد القيادة كجزء من منهج العمل مع الجماعة. وفى دار الأرقم بن الأرقم وهو عبد مناف بن أسد القرشى أسلم عشرة عشرة. وفى هذه الدار كان النبي صلى الله عليه وسلم قد استخفى يدعو الناس إلى الإسلام سرا حتى اكتمل عدد المسلمين أربعين رجلا كان آخرهم إسلاما عمر بن الخطاب

ومنهم أبو عبيدة الجراح وسعيد بن زيد وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وعبيدة بن الحارث وأسماء وعائشة بنتا الصديق وعبد الله بن مسعود وخباب بن الأرت وعمير بن أبي وقاص ومسعود بن القارى وغيرهم من كبار الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، وبإسلام حمزة وعمر قويت شوكة المسلمين وجاء أمر السماء للرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]

وجاءه أيضا ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، فأعلن الرسول دعوته فى مكة على جبل الصفا، حين وقف ونادى واصبحاه واصبحاه !!! ، فهز صوته جنبات وادى مكة ، وأقبل الناس نحو النداء زرافات ووحدانا حتى امتلأت ساحة الصفا فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش: أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أصدقتمونى ؟ قالوا نعم: فقال «إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد أنقذوا أنفسكم من النار» ومنذ هذه اللحظة بدأت المواجهة مع كفار قريش.

وبناء على ما سبق فلا يجب أن نردد أو نقول خلف القائلين: سرية الدعوة؛ فإن الحق الذى سجله التاريخ هو وضوح الدعوة

واشتهارها وسرية العمل لها إعدادا للقيادة وتربية لها لتحمل مع
الداعية عبء العمل عند الجهر بها والصدع بها للناس.

٥- العرض الواضح

وما زال الرسول صلاة وسلاما عليه يعرض دعوته على قومه
ومن بعث فيهم عرضا واضحا صادقا يتجلى. هذا الصدق وهذا
الوضوح في أمرين :

الأول: وضوح الهدف من الدعوة. والثاني: وضوح الدليل
على صدق الدعوة.

وإذا كانت دعوات البشر التي عرفناها في العصر الحديث
لا يتم الإفصاح عن أهدافها وتختفي هذه الأهداف غالبا خلف
شعارات براقية ثم لا تلبث أن تنكشف حين يتمكن أصحاب هذه
الدعوات ويفرضون أسلوب القهر والسيطرة وإلغاء العقل والإرادة
وإهدار الكرامة الإنسانية فلا تلبث أن تنفض عنهم الجماهير
بعد أن تكتشف حقيقة دعوهم ويذهب زبدهم جفاء وتبقى بعده
الحسرة والكمد وشقاء الناس وعسرهم.

أما الدعوة الإسلامية فمنذ اللحظة الأولى - التي صدع فيها
الرسول بأمر ربه وبدأ في تبليغ دعوته وخلال ثلاثة عشر عاما
على ما رواه علماء السيرة العطرة - حرصت وهي تضع القواعد

لمنهج العمل مع الجماعة أن يكون هدفها واضحا وأسلوبها كذلك
وأما وضوح الهدف فقد استغرق النص المعصوم «القرآن الكريم»
والأثر النبوي الشريف وهما الأصل في تحديد المراد من الدعوة
الإسلامية وظهر فيهما الهدف من الدعوة بارزا فصيحا قوى
الأسلوب وقوى المنطق جادا لا هزل فيه لا يركن إلى هوى النفس
أو وسوسة الشيطان.

كان هدف الدعوة الأول إحياء سنة الله في الأرض والدعوة
 لعبادة الله الواحد الأحد وتنقية الشوائب التي علقت بهذه العبادة
أو كما جاء عن رب العزة في القرآن العظيم ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾
قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبِئْبَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا
تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَأِزْرَةٌ وَزَرَّ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦١: ١٦٤].

وكما أسلفنا، فقد كان بين العرب من لا يزال على حنفيه
إبراهيم عليه السلام يحيى سنته ويتمسك بوحدايته فجاءت آيات
الله تذكر الكفار من العرب بهذه السنة وهذا الدين وتحى الربوبية
لتنفي الشرك بالله الذى شاع فى مجتمع الجاهلية.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٣].

هذه هي الرسالة ، أما الرسول فقد برأه القرآن من فوق سبع سموات من كل شائبة ومن كل عرض للحياة الدنيا كبير أو صغر قل أو عظم ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦].

فلا ينبغي أن تتخذ مثل هذه الدعوة مصدرا للإثراء أو موضوعا للتجارة والتربح ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ٥٠].

وحين يوضح القرآن هذا الأمر فهو يخاطب العقل وينفي عن الرسول أى شبهة للخداع ويقرر بشريته فى ذات الوقت ، هذه المعانى العظيمة التى أكدها اللفظ النبوى بالأمثلة التى تقرب المعانى للأفهام. يقول الرسول صلاة وسلاما عليه مخاطبا قومه : «ترون هذه الشمس» قالوا: نعم، قال: «فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة». ومن وضوح الهدف إلى وضوح وقوة الدليل وشموله على عناصر الإقناع التى تهيئ قبول العقل له وإحساس الوجدان بصدقه حين

يتم تصويرها حقائق مسلمة ﴿الرَّكَنُ أَحْكَمُ آيَتُهُ ثُمَّ فَصِلَتْ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝
فِيمَا يَنْزِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝﴾ [الكهف: الآيتان ١ و ٢].
﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وعن وحدانية الله يقدم القرآن دليلا بسيطا يخاطب أبسط
العقول حين ينفي الشرك فيقول عز من قائل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا
إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء
: ٢٢]، وهكذا يعرض القرآن الكريم الدعوة في أسلوب عبقرى
التسلسل فى مجموعة السور المكية التى سجلت طور الحياة لهذه
الدعوة فى ظلال البيت العتيق مكة المباركة، فى سورة الأنعام
هناك القضية الكبرى قضية العقيدة والقاعدة الرئيسية للعبودية
الصحيحة لله رب العالمين.

ومع العقيدة هناك الشريعة التى تهدف إلى طهارة المؤمن،
طهارة القلب قبل الجسد، فالقلب حمل الاعتقاد والقلب يغذيه

الدم، والدم يغذيه الطعام ولا بد للطعام أن ينتقى من نجاسة الشرك المتمثلة في الذبح على الأصنام والأوثان والنصب. ويمضى القرآن المتفرد في بنائه وفي آياته وسوره ولفظه يعرض الدعوة مستوعبا كل أجزاء موضوعها متخذا كل زاوية من زوايا الفكر والوجدان والتاريخ في جملة ما ساقه ممتازا وحده بالوضوح الدائم على طول الزمن الممتد فارقا ما بين دعوة الله وكلامه المجيد ودعوات البشر وكلامهم الموضوع.

٦ - الاستقطاب حول الدعوة

لا تعرف الحياة البشرية طوال تاريخها على الإطلاق داعية من البشر جمع حوله وحول دعوته هذا الزخم مثل سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم، فقد تحلق حوله وانجذب نحوه أجيال وأجيال من العلماء والمفكرين والأتباع، حدث هذا في حياته منذ أن نشأ إلى جوار البيت العتيق وحتى بعد صعود روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى، أما الدعوة فقد أسلفنا بتوضيح ما فيها من مواطن صدق وقوة تستمدها من السماء فتخطف بها أفئدة أهل الأرض وتجذبها إلى حظيرة الإيمان.. وأما الداعية فقد جمعت سيرته أشتات من الناس منهم المسلمون الصادقون

والكافرون المتعصبون أو المنصفون وفي هذه السيرة وُضعت كتب كثيرة في لغات عديدة على مر الأزمان حتى صارت عشرات بل مئات الآلاف من المكتبات حول العالم لا تخلو من كتاب أو مطبوعة عن نبي الإسلام ورسالته التي صارت واضحة للبشرية كل الوضوح، ولم يعد فيها سر أو أمر مستغلق ولا أحاجي يغمض تفسيرها، وصار تاريخ الإسلام متاحا لكثيرين وأمر محمد عليه الصلاة والسلام معلوم فيه الصغيرة قبل الكبيرة ومنذ ميلاده ورضاعه مروراً بشبابه وبعثه وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ومنذ انطلاق الدعوة عمل رسول الله عليه الصلاة والسلام على وضع منهج الاستقطاب كعامل مثير ومغير للبيئة إلى الاتجاه المرغوب فيه، وبالفعل انطلقت الدعوة الإسلامية تقلل الثقافات والموروثات الشعبية وعقيدة الجاهلية الأولى لتحل محلها تصورا جديدا للعقائد والأخلاق والمعاملات.

وعلى الجانب الآخر، انجذب المجتمع تلقائيا إلى الحقيقة التي تخاطب فطرة الله وإلى النور الذي فجرته إرهابات النبوة. وعندما شرع الرسول ومن معه لاستقطاب الأطراف من القبائل والأقوام التي تقع على أطراف المركز أو البيئة الأولى للدعوة خشى كفار مكة من انجذاب هؤلاء إلى دعوة الإسلام وإلى محمد صلى الله عليه وسلم وطارت أفئدتهم هلعاً وفزعاً عندما تناهت إليهم أخبار

أن محمدا يبشر بين حجيج العرب وخشى الكفار من انجذاب الحجيج إلى الإسلام والدخول فيه وحيرهم الوصول إلى رأى يتفقون فيه على دعاية مضادة يشككون بها فى دعوة الإسلام.. والآن: ما أحوج الدعوة الإسلامية إلى مستوى هذا العمل المحمدي العظيم الذى سبق فيه الفعل القول وغلب فيه السلوك المطبق على الشعارات المرفوعة وسادت الطمأنينة والإخلاص والسعادة على الشك والريبة والضيق وعلا فيه اسم الله على كل شىء وخضعت النفوس لجلال العظمة الإلهية وليس لوضاعة بشر أو جماد.

٧ - مطابقة السلوك للمبادئ

.. وبعد أن بذلت قريش كل ما بوسعها من قوة وحيلة فى إطفاء أنوار الدعوة المحمدية وباءت بخيبة مريرة حولت غضبها إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين عليها تشق صفوفهم أو تعيدهم إلى حظيرتها.. أما الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقد وجهت إليه سلاح الترهيب بقدر ما وجهت سلاح الترغيب:

– أفرغت يا أبا الوليد..!؟

بهذا الأدب الجم يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم عقبه بن ربيعة حين يناديه بكنيته يسأله هل انتهى مما عنده وقد أفرط

فى حديث طويل يثير الحليم ويغضب الحر ويهيج العفيف، لقد جاء ابن ربيعة لرسول الله بعرض من سادة قريش فيه من المهانة ما فيه، فقال له متحدثا بلسان سادته: «يا أيها الرجل إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتىك رؤى تراها لا تستطيع ردها عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه». لقد وضع الرجل ما يشبهه بلغة العصر صفقة مقابل إيمان الرسول ودعوته.. عرض عليه الدنيا بما فيها من مال وجاه وحتى العلاج من السقم، لكن الأمر لم يكن هكذا عند صاحب الدعوة.

- أفرغت يا أبا الوليد

- نعم

- فاسمع مني، وطفق صلى الله عليه وسلم يقرأ مستفتحاً

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿٢﴾﴾ [فصلت: ١-٢] حتى وصل إلى قول الله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا

فَقُلْ أَنْذَرْتَكُمْ صَعِقَةً مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]

فأمسك عتبة بالفم الكريم خشية وخوفا من نزولها وعلامة على أنه يصدق القائل الذى لم يجرب أحد عليه الكذب من قبل.

الرسول صادق وقريش تعرف ذلك وهو فوق صدقه حلیم ولم يكن حلمه هذا فى ذاك الموقف فقط بل كان سلوكا ومنهجاً فى العمل الدعوى يظهر مرة ومرات أخرى وبجلاء أشد.. حين ذهب إلى الطائف يدعو ساداتها أن يترفعوا عن الانحطاط الذى يزاولونه بالسجود لجمادات تصنعها أيديهم أو أيدي غيرهم من البشر، جمادات لا تملك لنفسها خيرا أو شرا، يدعوهم إلى عبادة الله الواحد عبادة تتفق مع العقل فى استقامته لكن القوم آذوه وأغروا سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونهم ويصيحون به ويرمونهم بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين وهم يتضحكون، ويصفح الرسول الكريم عنهم بل ويدعو لهم ربه بالهداية، عل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده ولا يشرك به شيئا.

وفى أحلك الظروف وأقساها عليه بفعل طواغيت الكفر يسأله أصحابه: لو دعوت الله عليهم؟! فيرد الرسول الكريم الرد الجميل: إني لم أبعث لعانا، ولكن بعثت داعيا ورحمة: اللهم أهد قومي فهم لا يعلمون.

كانت أيضا القناعة رداء يزين نفسه الذكية، وفى شدة كفافه يراه قومه أغنى الناس. وتغنيه قناعته عن إبل تأتية موقرة

بالخزائن توضع عند قدميه ولا يشتكى الحاجة وقد لا توقد في بيته نار لأيام طوال. ويغرى بنعيم الدنيا المادى فيرفضه ويطوى على الجوع.. بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

قائد عظيم يقود الجند قليل العدد ضعيف العدد يهزم به صناديد الكفر جيوشا مجيشة وعديدة بالصلح وبالسلام ويوقع شروط الهدنة بقلب مطمئن إيمان النصره من الحق. وتراه مشغولا بأمور العرب جميعها ولا يفوته أمرا من أمور بيته وأزواجه وأولاده وفقراء المسلمين ومساكينهم يهتم بأمر العالم كله فى ذات الوقت الذى يراه من حوله راهبا خاشعا منقطعا عن الدنيا، هو فى الدنيا وليست الدنيا فى قلبه يملكها فى قبضته ولا تملك منه ذرة، يتقدم الصفوف ويعلن نفسه قدوة وقائدا بالعمل قبل الفعل، يأتيه أمر الوحي فيسبق اتباعه بالعمل به قبل أن يأمرهم بأمره.. كان قرآنا يمشى على الأرض كما وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها.. كان صلى الله عليه وسلم نموذجا لاتحاد السلوك مع المبادئ فى أكمل صورة.

٨ - الصبر

ومن الصبر على المستوى الشخصى إلى الصبر على أداء الرسالة، وجاء رسول السماء إلى رسول الأرض يذكىه من حيث

يذكره ويبلغه قول رب العزة: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

وحين يقلب وجهه بين مشركى قومه فيجد منهم الإعراض والصدود وهو يدعوهم إلى ما يصلح دنياهم وآخرتهم فيعتصر قلبه بالأسى والأسف فيأتيه قول الحق: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

ويؤذونه بفاحش القول وسوء العمل فينزل قرآن يدعوهم للصبر: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].
وهل كان الله سبحانه وتعالى غير مستطيع لنصرة نبيه؟!
حاشا لله أن ينازعه أحد فى ملكه لكنه الناموس، والقانون والقدرة التى أراد الله أن يجدها الناس فى أظهر صورها متجسدة فى نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم. ومن هذه القدرة تأسس العمل مع الجماعة وفى خلال العمل المكسى التزمت الجماعة بالسلوك المطابق للعبادى.

ولأن الفرد المسلم هو المرآة التى تعكس الإسلام فلا بد أن يسعى للنقاء من أى شائبة يحسبها الجاهل أو الغافل أو الذى فى قلبه مرض على الإسلام.

والدعوة الإسلامية في عهدنا المكي صبرت وكان صبرها إيجابيا حتى تتجنب الصدام المسلح وتعطي فرصا كاملة لإبراز معالم الدعوة وحقيقتها ولو كان المسلمون قد سبقوا في هذه المرحلة التي لم تأمرهم فيها السماء بالدفاع بالفعل وليس القول فقط عن الدعاة والعقيدة ربما ما تمكنت الدعوة من تحقيق النصر في المرحلة الحاسمة وتم وأدها وهي مازالت نبتة، وربما ما أمكنها أن يرى الناس وجهها الحقيقي الذي يمثل خير الإنسانية واندلعت المشادات داخل الأسرة الواحدة بين مدافع ومقاوم للإسلام الوليد وربما كان قد منح الكافرين الفرصة أن يتخذوا هذا دليلا على أن محمدا أشاع الصراع بين الأخ وأخيه والأب وابنه والزوج وزوجته ولما لم يكن هذا هدف الدعوة فقد طلب من الرسول الكريم ومن أتباعه تحمّل أذى الكافرين والصبر الجميل الذي ثوابه حسن الإيمان في الدنيا والجنة في الآخرة.. وتسجل كتب السيرة عشرات بل مئات من ملاحم صبر الرسول والمسلمين الأوائل فهؤلاء آل ياسر (عمار وأمه سمية وأبوه ياسر) كانوا من ضعفاء مكة أعلنوا إسلامهم وإيمانهم فوكل أمر تعذيبهم إلى بنى مخزوم يخرجون بهم جميعا إلى رمضاء مكة الملتهبة ويصبون عليهم جحيم العذاب ألوانا وفنونا فيمر عليهم الرسول أو يخرج إليهم حيث علم أنهم يعذبون وهو لا يملك دفع الأذى عنهم وما كان

صلى الله عليه وسلم مواسيا لهم فحسب حين قال: «صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة» بل كان يقرر حقيقة يعرفها ويؤكددها واقع يبصره ويراه ويتكرر الأمر فى السور المكية بالصبر ليعلم الأوائل والأواخر من أصحاب الدعوة أن منهج العمل مع الجماعة لتبليغ الدعوة هو: «الصبر الطويل.. والصبر الجميل» الذى يمكن الغير من التعرف على امتيازات الإسلام وإذا كان هناك ثمة ابتلاء للدعاة فى عصر من العصور فإنما هو تدريب ربانى لهؤلاء ليخلصوا الطاعة ويتم تنقيتهم وتمحيصهم من كل آفة وشبهة.

٩ - العلم بالقرآن

العلم بالقرآن أول صفة لا بد أن يتحصلها الداعى إلى الله تعالى والمراد بهذا العلم النظر إلى القرآن أولا كمصدر للهدى والموعظة والعبرة وكذلك النظر فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. الصحيح منها من أقوال وأفعال ثم النظر فى سيرة خلفاء الرسول الراشدين والسلف الصالح من الصحابة والتابعين ثم يأتى بعد ذلك العلم الكافى من الأحكام وأسرار التشريع فإذا ما تحصل الداعية هذه العلوم ينتقل إلى مرحلة التبليغ عن الله تعالى، لكن نبيه إلى إن هذه المرحلة تستلزم بجانب تحصيل العلوم الاتصاف بالصدق فإذا ما اجتمعت الصفتان على الوجه الصحيح لا يخشى

على الداعية من زيغ في العقيدة أو خطأ في الحكم أو عجز في إقناع النفوس المتطلعة إلى معرفة أسرار الأحكام الشرعية، أما الجاهل والكذاب فضالان مضلان يفسدان أكثر مما يصلحان بل لا يصلحان من الأصل إذ لا تمييز لجاهل بين الحق والباطل ولا معرفة عنده ترشده إلى إصلاح القلوب وتهذيب النفوس.. وعن الحسن البصرى أنه قال: «العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح» وفي الأثر: «من سلك طريقا بغير دليل ضل ومن تمسك بغير أصل ذل» أما الكاذب فلا خير فيه تطارده لعنة الله حين يرتكب كبيرة الكبائر وهي الكذب والتقول على الله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِلْتِمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]

والكذب على الله سبحانه وتعالى بلا علم يكون في أسمائه سبحانه وتعالى وصفاته ودينه وشرعه، يقول عز من قائل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفِّرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٦) مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ [سورة النحل: ١١٦، ١١٧]. وهذا بيان من رب العزة أعلنه في شأن الكاذبين

الذين يحللون ويحرمون بغير علم أو بعمد فى الإضلال أعازنا الله وإياكم منهم ومن فتنهم.

١٠ - العمل والحلم

فى كلام سابق قلنا إن صفة العلم بالقرآن هى أولى صفات من يضطلع بالعمل الدعوى ويأتى فى الترتيب بعد هذه الصفة : العمل والمقصود هنا أن يعمل الداعى بما يعلمه فلا يكذب فعله قوله ولا يخالف ظاهره باطنه ولا يأمر بشىء ما لم يكن هو أول العاملين به ولا ينهى عن فعل ويأتيه أو يسعى إليه أو يقع فيه كما قال مالك بن دينار: «إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصف»، وبالقياس من حث على التحلى بفضيلة وهو عاطل عنها لا يقال قوله إلا بالرد ولا يعامل إلا بالإعراض والإهمال ويضع نفسه موضع حيرة البسطاء وسخرية العقلاء وإذا ما تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه اتهمه الناس فى دينه وعلمه وورعه وازداد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون «لولا أنه أطيب الأشياء وألذها ما استأثر به لنفسه ومنعها عنا».. وكذلك الداعى إذا خالف فعله قوله لذلك لا بد أن يكون حريصاً على التخلق بما يدعو إليه، وفى الأثر أن بعض الدعاة لم يذكر لجمهور دعوته فضائل العتق حتى أمكنه

الله من شراء رقيق فأعتقه وبعدها ذكر لهم فضل من أعتق لله تعالى حتى يكون له تأثير في قلوبهم.

فالدعوة إلى صالح الأعمال ومكارم الأخلاق تربية، والتربية النافعة إنما تكون بالعمل لأنها مبنية على القدوة الصالحة والأسوة الحسنة لا بمجرد القول والداعي من المدعو يجرى مجرى الطابع من المطبوع وفي آيات الذكر الحكيم ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، والمقت أشد الكراهة والمعنى أن الله العزيز الكريم يحذرنا من ذنب عظيم وهو أن يختلف العمل عما ندعو إليه وهو في هذا يخاطب المؤمنين ويؤكد على هذا فيقول عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] فهلا قرنا القول بالعمل.!!!

..والحلم

والحلم أيضا وسعة الصدر من صفات الداعية فكمال العلم في الحلم ولين الكلام مفتاح القلوب المغلقة وعلاج النفوس المريضة ولا يكون ذلك إلا إذا اتصف الداعية نفسه بالهدوء واطمئنان النفس والقلب، لا يستفزه الغضب ولا يستثيره الحمق حتى

لا ينفر المدعو أو تشمئز نفسه وحسبك في هذا قول الله تعالى لإمام الدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام في قرآنه الكريم ﴿كُنْتَ قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ودعوته للمجادلة حتى مع الكفار والمشركين بالتى هى أحسن حتى تنقلب العداوة إلى الموالاة الحميمة ولو كان الداعى سيئ الخلق جاف الطبع قاسى القلب غليظ القول فلن يجتمع حوله الناس بل سينصرفون من حوله ويحرمون الهداية بأنوار دينهم وربما يعيشون ويموتون جهلاء وذلك هو الشقاء.. أعاذنا الله وإياكم منه.

١١ - الشجاعة.. والعفة.. والقناعة

هل يمكن أن يخيف الباطل الداعى إلى الحق؟! فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال: بايعنا رسول الله عليه الصلاة وسلام على أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف فى الله لومة لائم وروى ابن حبان فى صحيحه عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أنه قال: أوصانى خليلى بخصال من الخير: أوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم، وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا. هذه وصايا أعظم الدعوة لقادة الدعوة الإسلامية وجنودها الأوائل وهو أيضا صلى الله عليه وسلم الذى قال لأصحابه:

«لا يحقرن أحدكم نفسه.. قالوا يا رسول وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال: يرى أن لله عليه مقالا ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول له رب العزة: فإياي كنت أحق أن تخشى !»^(١).
 فهل يخشى الداعي الناس ولا يخشى رب الناس؟! إذا حدث هذا فقل على أمة الإسلام السلام، أو كما قال رسولها الكريم محذرا: «إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم»^(٢).

والعفة صفة أخرى من صفات الداعية، والعفة مشتقة في اللغة من لفظ: عف أى كف عما لا يحل وكف عن المحارم والأطماع.

وهي أيضا اليأس مما فى أيدي الناس والاستغناء عنه والاكتفاء بما فى اليد ومن يفعل ينال من الناس محبتهم واحترامهم، أما إن كان المرء غير ذلك فلن يناله من الناس إلا احتقارهم ومقتهم وصار عندهم مردولا مهانا لأنه هان على نفسه قبل أن يهون على الناس أو كما قال الشاعر:

ومن يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميتٍ إيلاُم

(١) ضعيف الترغيب و الترهيب - الألبانى ٥٢/٢

(٢) رواه الحاكم فى المستدرک

وهذا هو غيه الذى يصدق عليه قول أبو سعيد الحسن البصرى رحمه الله حين قال: لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دينارهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه. وكان أعرابى قد سأل أهل البصرة من سيدكم؟ فأجابوه: الحسن. فعاد لسؤالهم: بم سادكم؟ فأجابوه: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دينارهم فقال: ما أحسن هذا. إذن فواجب الداعى نزاهة النفس عن شبهة المكاسب والاكتفاء بما تيسر عن ذل المطالب فالأولى إثم والثانية أجر، والأجر أجدر به من الإثم كما أن العز أليق به من الذل.

وصفة القناعة ليست بعيدة عن حديث العفاف فالداعى لا يجب ولا ينبغي له أن يكون حريصا على الدنيا منهمكا فى طلبها أما إذا فعل الداعى ذلك أو ذهب فى هذا الاتجاه فقد تحول من داع إلى الحق إلى داع إلى الضلال والإفساد واستبدل النافع بالضرار وما هكذا يكون الداعى إلى الله تعالى.

وفى الأثر أن محمد بن واسع البحر رحمه الله كان يبيل الخبز اليابس بالماء ويأكله وهو يردد: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد. ومن لم يقنع؟! أو من يطمع؟! يصدق عليه قول الحكيم: «وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم

على الأذى الحريص «إذا طمع»، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط. وقال سفيان الثوري وإذا لم يقنع المرء؟! يجيب العارفون.. لن يأخذ من الدنيا إلا ما قسمه له الله منها وبعد ذلك لا يعذب إلا نفسه ولا يكرر إلا عيشه ولن يحصل إلا على نصيبه الذى وزعه الله عليه فى اللوح المحفوظ ليستوفى حقه ويذهب إليه يوم القيامة فيحاسب على طمعه وعدم قناعته والله در من قال: «القناعة كنز لا يفنى» أو «عز من قنع وذل من طمع» !

١٢ - قوة البيان وفصاحة اللسان

فإذا ما امتلك الداعى صفات العلم بالقرآن، والعمل بعلمه، والحلم، وسعة الصدر، والشجاعة، والعفة، والقناعة... لا بد له أن يتميز بقوة البيان وفصاحة اللسان. وفى الكتاب أن رسول الله موسى سلام الله عليه سأل ربه ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [٢٧ - ٢٨] حيث كان هناك حبة لغوية وعندما اضطلع الرسول بأمر الرسالة سأل ربه أن يمنحه العافية منها حتى يوصل رسالته ويصمد أمام فرعون فى إبلاغ رسالته والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته فإن مدار الأمر

على البيان والتبيين والإفهام والتفهم ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم علمه شديد القوى فكان فصيحاً جميل الكلام على رغم أميته، وترك صاحب «الشفاء» يصف لنا فصاحة إمام الدعوة فيقول: وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذى لا يجهد سلامة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان، وقلة تكلف، أوتى جوامع الكلم، وخص ببدايع الحكم وعلم ألسنة العرب يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها فى منزع بلاغتها.

كان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم بلهجتهم ويتفوق عليهم فى الفصاحة والبيان وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بذلك ليبين للناس ما أنزل إليهم وحين نستعيد السيرة العطرة نكتشف فيها مواضع البلاغة فحين يقول الرسول الكريم: «الناس كألسنان المشط»^(١)، فقد لخص فى ثلاث كلمات مبادئ العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، وعلى هذا القياس يستعيد ويستعين المؤمن ويستأنس بسيرة رسوله حين يقول: «أسلم تسلم يؤتك الله

(١) رواه ابن عدى فى الضعفاء، وحكم عليه بالوضع - أى إنه مكذوب - وأخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات، وتعقبه السيوطى بذكر طريق أخرى له، ولكنها ضعيفة جداً، كما قال العلامة الألبانى.

أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ» أَوْ كَمَا رَوَى عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنْ مِنْ أَحَبُّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَابِسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثُّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ »، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثُّرَثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ» وَقِيلَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مَا رَأَيْنَا الَّذِي هُوَ أَفْصَحُ مِنْكَ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي؟ وَإِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.

١٣ - التحصين بالعلم المجتمعي

وإذا ما توجه الداعي إلى الله تعالى لناس غير ناسه أو مجتمع غير المجتمع الذى ولد وشب فيه عليه أن يعلم أحوال من توجه إليهم بدعوته، يعرف شيئا من طبائع بلادهم وأخلاقهم وعاداتهم الاجتماعية واستعدادهم لاستقباله، فمثل هذا الأمر سوف يسهل له كثيرا من الأمور، ويقوده سريعا إلى مد جسور التواصل مع جمهوره المستهدف، وإذا كان العامة يصفون الغريب بأنه أعمى ولو كان بصيرا، فالمقصود هنا بالعمى الناتج عن الجهل، فالعلم فى هذه الحالة يقصر المسافات كما يقصر الوصول للغايات ووسائل هذا العلم الآن متاحة وميسورة مع الانفتاح الهائل لوسائل الإعلام

حتى إن العالم كما يقولون أصبح قرية صغيرة تتدفق فيه المعلومات بيسر وسهولة.. على الداعى أيضا أن يعرف قبسا من علم التاريخ العام ويعرف الفساد فى العقائد والأخلاق والعادات فيبنى دعوته على أساس صحيح ويملك الحجة التى يدعم بها كلامه فيبلغ به غايته من التأثير فى أفراد ومجتمع دعوته وينقل هؤلاء المدعويين من حال إلى حال.

وإذا كان القرآن الكريم فيه كثير من خبر ما قبلنا من أمم ومملوء بعبر التاريخ لغاية هداية الناس وتجنبهم الوقوع فى ذلك من قبلهم فالعلم به وبتفسير حوادثه التاريخية مطلوب والجاهل به لا يصلح أن يكون داعيا إلى رسالة الإسلام ولا مرشدا فى الأمور العامة أو على الأقل فقدانه لهذه الملكة على الوجه الذى يرتجى قبوله ونفعه.

وعلم النفس يساوى علم التاريخ فى فائدته ونفعه، وعلى الداعى أن يعلم ويتعلم هذا العلم حتى يفهم ما يصدر عن الناس فى العديد من الأحوال بإرادتهم أو بدونها، والأصل فى الإنسان أن يأتى عمله تابعا لعلمه ولكن كثيرا ما يخالف عملهم علمهم بمعنى أنهم يعرفون أن أمرا من الأمور ضار ويلغونه أو نافع ويهجرونه فما السبب وراء ذلك؟، وهل يحسن دعوة هؤلاء

إلى الخير وإقناعهم بهجر ومفارقة الشر؟! الإجابة عن مثل هذه الأسئلة يجدها الداعى فى علم النفس البشرية ، وقديما كان حكماء العرب لديهم هذا العلم بمسميات أخرى مثل الفطرة وذكاء القرية فلما جاءهم القرآن بآياته والرسول صلى الله عليه وسلم بسنته زادهم علما ، وفهما ونجد هذا فى أعمال وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ويمكننا أن نفسر اليوم أفعالهم وأقوالهم على ضوء علم النفس الحديث ، وسوف نجد حكمتهم قد سبقت هذه العلوم الوضعية بمئات السنين لكن هذا لا يمنع الداعى من أن يتزود بأحدث ما وصل إليه العلم ، ويجدد معلوماته فى هذا الشأن أولا بأول مع اختيار ما يتناسب منها مع عقيدتنا وتوجهاتنا الاجتماعية وحاجات الإنسان الفطرية كما فطرها الله عليه ليس كما رتبها الغرب فى بعض بحوثه . أيضا علم تقويم البلدان من العلوم المهمة ليعد الداعى عدته لكل بلد يشد إليها رحاله إذا أراد السفر.

ثم يأتى علم الأخلاق ويبحث فيه الداعى عن الفضائل النفسية حتى يربى وكيفية تربية مجتمع دعوته عليها ويعلم أيضا النقائص حتى يرشد مجتمع دعوته إلى تعريفها ، وإذا كان هذا العلم لازما لرجال الدين فهو للدعاة ألزم لأن ميدان عملهم

الرئيسى معالجة اعوجاج النفوس وتهذيبها، وفى القرآن وصحيح السنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ما يغنى عن كثير من الكلام فى هذا الأمر.

معرفة الملل والنحل ومذاهب وعقائد الأمم وشىء من علم مقارنة الأديان حتى يتبين للداعى الباطل من الحق فى عقائد البشر وعقائد المتوجه إليهم بدعوته ومن لا يقف من الدعاة عند هذا العلم فلن يستطيع أن يخاطب مجتمع دعوته فكيف يقنعهم بصحيح دعوته إذا كان لا يعرف المعوج من عقيدتهم؟! .. لغات الأمم أيضا من العلوم التى لا بد أن يتقنها الداعى أو على الأقل لغة من يتوجه إليهم بالدعوة وفى السيرة أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر الصحابة بتعلم لغة اليهود «العبرانية» الذين جاؤوا المجتمع المسلم فى المدينة، فعن زيد بن ثابت أن النبى عليه الصلاة والسلام أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتب «زيد» للنبى كتبه وأقرأه كتبهم «الرسائل المتبادلة بين الرسول واليهود». وفى الأثر أن أبا جمرة كان يترجم بين ابن عباس وبين الناس وكان يقول إن معرفة لغة الناس الأصلية تزيد كمالاتهم فى الفهم عنهم ومعرفة حقيقة شأنهم، ولا يقال يمكن أن يستغنى الداعى عن تعلم لغات الأمم بالترجمين غير المسلمين لأنه حتى

إذا ظفر الداعى بهذا المترجم الأمين فكيف له أن يضمن أن يفهم هذا المترجم حقيقة الدين عند الترجمة، والواجب هنا أن تشمل كل جماعة من جماعات الدعوة مسلمين عارفين بلغات الأقوام المبعوثين إليها حتى يكفيه هذا شر الحاجة إلى ترجمة الأجنبي، وهذا ما سبقت إليه جمعيات الدعوة والتبشير النصرانية ففيها أفراد يعرفون لغات الأمم وإليها ينهلون كتبهم ونشراتهم ويخاطبون الناس بلغاتهم الإقليمية.

أيضا علم الاجتماع من العلوم المهمة حيث يبحث منه الداعى عن أحوال الأمم فى بداوتها وحضارتها وأسباب ضعفها وقوتها وتقدمها وتأخرها، ويكفى أن رائد هذا العلم العربى المسلم العالم ابن خلدون مثلا اقتضى الداعى المسلم أثره. وعلى الجملة يلزم الداعى أن يعرف أحوال الناس حتى يرشد كل فريق بما يناسبه ويصحح أخطاءهم ويصلح من قلوبهم ويعالج نفوسهم فهو مثل الطبيب يتعامل مع الأمراض فإذا كان ماهرا امتلك علوم الطب حتى يصل بمريضه إلى بر الشفاء.

١٤ - قوة الثقة بالله تعالى

ثقة الداعية بالله تعالى فى وعده ورجائه بالحصول على الفائدة مهما طال العلاج وكبرت المصاعب إذا ما تمكنت من نفسه تقوى

نشاطه وتبعث فيه الهمة وتنبهه إلى انتهاز كل فرصة بما يناسبها وتمنحه اليقين بأن ما لم يؤت ثماره اليوم فغدا سوف يثمر، وإن الباطل حتما إلى زوال ولا بد من يوم يظهر فيه الحق على الباطل، وإن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، وإن أنصار الحق لا يغلبون ما داموا معتمدين به مجتمعين عليه أو كما قال الإمام على كرم الله وجهه: لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق.

ورسولنا الكريم صلاة وسلام عليه سيد الداعين إلى الله لم يثن عزمه ولم يثبط همته في دعوته إلى الله تعالى عناد أهل الغنى والضلال ومقابلتهم له بالكفر والإنكار وإيقاع الأذى به وبأصحابه المجاهدين المخلصين الأخيار هؤلاء الذين ثابروا وصابروا فكان لهم في نهاية الأمر الظفر والفلاح والنصر بعد الكفاح.

وصدق الله وعده حين قال في قرآنه العظيم: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُنِيتْ أَقْدَامَهُمْ﴾ [محمد: ٧]، وما نريد أن ننبيه عليه هنا هو ألا يجعل الداعى اليأس يتسرب إلى قلبه في صلاح أحوال المتوجه إليهم بدعوته، وألا يشعر فى أى مرحلة من مراحل دعوته أنه يحرث فى البحر أو أنه لا طائل من سعيه بل يمضى فيما عزم الأمر عليه مهما قاسى من شدائد وتحمل

من مشاق ويفعل كما يفعل الطبيب الناصح مريضه حين يصف له الدواء على قدر الداء فإن لم يفده يصف له غيره وهكذا حتى يشفى بإذن الله ويبرأ من دائه ، والتجربة الإنسانية تدلنا إلى أن أقسى القلوب تلين وتخضع بتكرار النصح ، والتذكير بالعواقب ينفع ، بإذن الله تعالى ، أو كما قال سبحانه ﴿ وَذَكَرْنَا لِلذَّكَرَى نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥].

١٥ - التواضع

التواضع ليست فقط صفة مطلوبة للمسلم بوجه عام وللدعاة بوجه خاص فهي أليق وألزم فالذى يعلم الناس لا بد أن يبدأ بنفسه والله يكره أن يقول العبد شيئاً يناقض فعله.

والإعجاب بالنفس نقص ينافى الفضل ويقود الإنسان للتكبر على خلق الله ، ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم يقول : « إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ». وإذا ما كان العجب نابعا من اغترار الداعية بعلمه فالعلم أوجب للتواضع ، أدعى للجد في طلبه والذى يغتر بعقله أو يعتقد أنه ملك ناصية لعلم فقد توقف نموه وأسنت معارفه ، أو كما قال رسول الله صلى لله عليه وسلم : « قليل العلم خير من كثير العبادة وكفى بالمرء

علما إذا عبد الله عز وجل وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه»،
وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» رواه مسلم... صدقت يا رسول الله فيما قلت ووصفت فأحسنت الوصف إعجاب المرء بنفسه واحدة من الثلاث المهلكات..

ولقد أدرك الصحابة الأخيار ما حذر منه إمامهم وإمام الدعاة ونقلوا عنه للسلف الصالح فعن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصديق أبو بكر رضى الله عنه أنه قال: «وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى اليقين والشرف فى التواضع» وعن خليفة رسول الله عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين قال: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ليتواضع لكم من تعلمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم».

هذه تعاليم الداعية العظيم ورثها عنه السلف الصالح خيرة الصحاب والتابعين، قالوا مثل ما قال أولهم وتابعوا قولهم بالعمل وتابع عملهم من جاء بعدهم من الأولين يرددون قول من سبقهم حين يقولون: «من تكبر بعلمه وترفع وضع الله به ومن تواضع بعلمه رفعه الله به». وسئل الفضيل عن التواضع فقال: «أن تخضع للحق وتنقاد

له وتقبله ممن قاله» وقال ابن المبارك: «رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تهلمه إنه ليس لك عليه بدنياك فضل وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أن ليس له بدنياه عليك فضل».

وفي منثور الحكم: «إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر من فوقك من العلماء» والفوقية هنا ليس لها حدود أو كما أخبرنا رب العزة ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وعن هذا النص القرآني قال أهل التأويل: يعنى فوق كل ذى علم من هو أعلم منه حتى ينتهى ذلك إلى الله تعالى الذى يعلم السر وما يخفى ولا يعزب عن علمه شيئا فى الأرض ولا فى السماء، وفى قصة نبي الله موسى والعبد الصالح آية للعلماء وحكمة وموعظة للناس ألا يفتروا بعلمهم ويتواضعوا لمن يحسبونه أقل منهم لعلمهم بالغيب رحمة من الله ومنة.. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

١٦ - عدم البخل بالعلم!

وهذه أيضا صفة مهمة من صفات الداعية وآدابه... فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: (لولا آية فى كتاب الله تعالى

ما حدثت أحدا بشيء أبدا) والآية التي أشار إليها أبو هريرة في حديثه نزلت في أحبار اليهود لكن حكمها عام كما تدل الأخبار وفي الآية يقول رب العزة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

والكتم والكتمان هو ترك إظهار الشيء قصدا مع العلم بحاجة الناس لمعرفة، والبيانات التي يقصدها الحق هي: الآيات الدالة على الحق ومنها على سبيل المثال ما أنزله الله على موسى وعيسى سلام الله عليهما في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وفي رسالته الخاتمة، أما الهدى فهو كل ما يهدى العبد إلى الإيمان بالله ورسوله بعد أن بين رب العزة سبل هذا الهدى في القرآن. هذا هو العلم الأول.. علم الإيمان بالإلوهية والربوبية والتوحيد ومن يكتم هذا العلم عمدا فمصيره اللعنة يلعنهم الله أى يبعدهم عن رحمته ويذيقهم أليم نقمته ويلعنهم اللاعنون من الملائكة وأهل الأرض أى يدعون عليهم بالإبعاد عن رحمة الله.

والبيانات والهدى أيضا يشملان علم الدنيا أو العلم الذى يتعامل مع معطيات الحياة، وأولها الشريعة وهو العلم الذى ينظم علاقات الناس فيما بينهم وبين ربهم وفيما بينهم وبين

بعضهم البعض ، والله سبحانه وتعالى يأمرنا أيضا بإظهار هذا العلم ويعلمنا بحرمة كتمانها ، والسيرة أيضا تفعل نفس الشيء... فقد روى عن النبي صلاة الله وسلامه عليه أنه قال : (من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار). وفي رواية أخرى (من سئل عن علم فكتمه ، جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار). وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال : (ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا) وقال بعض الحكماء : (إذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل فأحرى أن يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل).

وفي منثور الحكم (من كتم علما فكأنه جاهله ، ثم له بالتعليم نفعان : (أحدهما) ما يرجوه من ثواب الله تعالى.

وروى ابن مسعود عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : (تعلموا العلم وعلموه فإن أجر العالم والمتعلم سواء)... قيل وما أجرهما.. قال : (مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة). والنفع الثاني : هو في زيادة العلم وإتقان الحفظ.. كيف ؟.. أجاب الخليل ابن أحمد أحد كبار العلماء العرب فقال : (اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيهها لما ليس عندك).

وإذا ما كان ميدان الداعية الرئيسي هو علوم الدين فإذا استكملها بعلوم الدنيا فقد استكمل المنظومة وأتاح له هذا أن

ينطلق في أحكامه من قاعدة أوسع وإدراك أعمق فلا يكتفى بما في الكتب بمعزل مع حياة الناس ولا تنغمس في حياة الناس وهو يجهل ما في الكتب أو يدعو إلى الآخرة ويهمل أسباب الدنيا والعكس... وما ساد الغرب على الشرق في أمر الدنيا إلا بأخذه بأسبابها والمسلم أولى بذلك... فالدعوة الأولى التي خاطب فيها رب العزة نبيه على الأرض كانت للعلم والتعليم (اقرأ) قالها ملك السماء لرسول الأرض.

١٧ - الوقار والرزانة وضبط اللسان

لا شك أن الداعي إلى الله قمة سامقة في نظر المدعوين ونفوس السامعين والمتابعين ولما كان اللسان يعكس ما تحمله النفس من تهذيب وتأديب وعلاج النفس مطلوب قبل اللسان. (وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصاد ألسنتهم).. هكذا حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أتباعه والكلمة تخرج من الفم كالثور الهائج لا يستطيع الإنسان أن يردّها، وقد تخرج لا يلقي المسلم لها بالاً فتھوى به إلى سابع أرض، ثم إن رب العزة سبحانه وتعالى

وصف الكلمة فقال عز من قائل: ﴿الَّتِي تَرَكَيفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ

﴿٢٤﴾ تَوَقَّ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥].

هذا هو حكم الكلمة ، والكلام فيه حلال وحرام وفيه فضول وتزيد
ولغو؛ لذلك ينبغي على الداعى أن ينتبه دائما لحصاد لسانه ووقار
نفسه ورزانة عقله فيمسك عن فضول الكلام وكثرة الإشارة والحركة
فيما يستغنى عن الحركة فيه ، وينبغى أن يتعلم فضيلة الإصغاء إذا لم
تكن من ملكاته ، الإصغاء فى الحوار وعند الاستفهام ، والتوقف عند
الجواب وعدم التسرع والمبادرة فى جميع الأمور والتحفظ من التبذل
بالهزل القبيح ومخالطة أهل الهزل والتبذل أو حضور مجالسهم ،
وينبغى عليه إمساك اللسان عن الفحش فى القول وللقبيح والمزاح
السخيف خاصة فى المحافل ومجالس الاحتشام ، فلا كرامة لمبتذل
ولا هيبة لمن يسرف فى المزاج أو يفحش فيه .

كذا على الداعى أن ينأى بنفسه ويترفع عن الجلوس فى الأسواق
وقوارع الطرق من غير ضرورة فإن الإكثار من ذلك يخل بالكرامة
وأعظم الناس قدرا عند الخلق من ظهر اسمه وخفى شخصه ، وعلى
الإجمال... فالداعى يجب أن يتحلى بالسكينة والوقار فى جميع
أحواله فى سكوته وكلامه... فى سكونه وفى حركته فهذا أدعى
للهيبة والإجلال عند الناس وأدعى للانتفاع به .

٧٨ - علو النفس والصبر

فى دعوته إلى الحق لاقى إمام الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا من الشدائد والأذى وصادف كثيرا من العقبات ، لكن شيئا من ذلك لم يكن ليضعف من عزيمته أو يثبط من همته أو يثنيه عن دعوته ، وكذلك الداعى إلى الحق عليه أن يقتدى برسوله وسنته ويضع فى اعتباره أنه مصلح من المصلحين وأن المدعويين ينظرون ويقتادون بصفاته .

وإذا كان كل إنسان يجذبه طبعه ويحملة تكوينه النفسى إلى عمل ما يميل إليه فعليه أن يعلم أن مقام الدعوة إلى الله أحوج ما يكون إلى أن يعكس عن نفسه صورة يؤطرها علو الهمة وعظمة النفس وأن يستصغر ما دون الأعالى من الأمور ويترفع عن الدنيا ويغضب عند الإحساس بالنقص ويغار لانتهاك الحرمات وكلما كان الداعى أقوى نفسا وأعلى همة كان أمضى وأقدر على التأثير فى نفوس السامعين .

.. والصبر

إن أول وأعلى درجات الصبر هو حبس النفس على طاعة الله تعالى حتى لا تفارقها ثم الصبر عن معصية الله تعالى حتى لا تقاربها ثم الصبر على قضائه سبحانه وتعالى حتى لا تجزع ولا تسخط على قضائه سبحانه وتعالى . والصبر من أشرف الأخلاق

وأعلاها وهو بجوار أنه موهبة من الله لبعض خلقه فهو أيضا خلق (مفرد أخلاق) مكتسب يحمل العاقل عليه نفسه ويروضها حتى يصبح طبعا فيها لا يحتاج - وقت الحاجة إليه - إلى طلب.

وفى كتاب الله تعالى أكثر من موضع يأمر فيه رب العزة نبيه بالصبر فيقول عز من قائل: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعِزَّةِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف ٣٥]. وفى قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

وفى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم ٦٠]. لا يستخفك يا محمد (صلى الله عليه وسلم) الذين لا يوقنون ما تتلو عليهم من آيات بينات فيكذبونها ويؤذونك بأباطيلهم.. لا يحملتك على القلق هؤلاء الضالون الجاحدون ولا يدهشك صدور هذا عنهم ومنهم واصبر على أفعالهم السيئة لأن وعد الله بإظهار دينه وإعلاء أمره حق متحقق لا محالة. وعلى الإجمال فقد أوجب رب العزة على رسوله (صلى الله عليه وسلم) المثابرة وحرم عليه القلق والضجر مما يناله من السفهاء. ومن جانبه فقد احتل صلوات الله وسلامه عليه فى دعوته إلى الحق كثيرا من الأذى والشدائد، كما أسلفنا فصبر عليه حتى أنجز الله وعده وأتم رسوله رسالته.

ومن قبل رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم كان رب العزة قد رفع شأن أمة «بنى إسرائيل» وجعلها مثالا للتوحيد فى الأرض أخبر عنهم رب العزة فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

لكن أفراد هذه الأمة لم يصبروا على حمل الأمانة وتبليغ الرسالة فانحرفوا بها فحقت عليهم اللعنة وغضب الله أعازنا وأعازكم الله منهم ومن خطاياهم.

١٩ - التقوى والأمانة والتحرز بطاعة الله

يقول رب العزة فى كتابه الكريم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. فالخشية هى ثمرة العلم بالله تعالى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل: «إنى أعلمكم بالله وأشدكم له خشية»، ومن مظاهر خشية إمام الدعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم دوام استغفاره وطول قيامه وهو الذى بشره رب العزة بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فما بال العباد؟ يقول رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ

فُرْقَانًا وَيُكْفِرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿ [الأنفال: ٢٩].

فالعامل بمقتضى الدين يكسب الإنسان ملكة العلم والحكمة
وبهما ينال الخير والسعادة فى الدارين «الدنيا والآخرة».

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم
كان دائم الدعاء «اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»،
واستهداء بسيرة رسول الله فلا يصح للداعية أن يكون فاسقا فى
دينه، قبيحا فى سيرته، متهما فى أمانته فإن منزلته كبيرة ورتبته
خطيرة، ومتى لم تكن للداعى تقوى تمنعه من ارتكاب المعاصى
والوقوع فى الآثام وأمانة تمنعه عن اقتحام المحارم كان الضرر به
أكثر من الانتفاع، وطال شره نفسه وأنفس الناس الذين بسليقتهم
وطبيعتهم لن يقبلوا منه قولا فى الدين، وهنا يفشل فى أداء
وظيفته فى الإرشاد. وناهيك عن أنها ولاية شرعية ووظيفة دينية
فالفاسق لا يجوز له أن يلى شيئا من أمور المسلمين، فلا يكون إماما
ولا قاضيا ولا شاهدا، ولا يتم تقديمه للصلاة.

وإن لذوى الأخلاق الفاضلة منزلة عالية وفى الحديث الصحيح
أن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا. والرسول الكريم يبشر
المؤمنين «إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة
أحسنكم أخلاقا» فحسن الخلق هو أفضل الأعمال وأبرها.

آداب الداعى الكمالية

أن يتحلى الداعى بالورع فى اتقاء الشبهات وبنأى بنفسه عن مواضع الريبة ومسالك التهم فذلك أبرأ لدينه وأسلم لعرضه وأدعى إلى الانقياد له بعد الإقبال عليه ، حيث تأثير المال أكبر من تأثير المقال ، وهكذا رأينا فى أحوال الداعية الأعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفنا نذك فى سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والهداة المرشدين رضى الله عنهم أجمعين ومنها التخلق بالخلال الحميدة والشيم العظيمة التى أرشد إليها الشرع الحنيف وحث الناس على التخلق والتحلى بها كالسخاء والجود والمروءة ونظافة البدن والحفاظ على جلال مظهر العلماء وطلعة الكرماء وكل ما يعيد ويسهل بلوغ الغاية من الدعوة إلى الله تعالى ، والتعلم أن التهاون فى هذا يقلل من الثقة فى الداعية ويصرف المدعويين عنه .

وللمؤمنين فى رسولهم العظيم أسوة حسنة وهو كما وصفه رب العزة فى سورة القلم «وإنك لعلى خلق عظيم» ، وكما قدمه سبحانه وتعالى للأمم التالية عليه فى سورة الأحزاب «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة» وهى شهادات من رب العزة

على صاحب أكمل وأرفع وأتم أخلاق وهو المبعوث ، ليتم المكارم ويقدم الأسوة الحسنة والنموذج الذى يجب أن يحتذيه الطامحون إلى الكمال البشرى.

وإذا ما تمثل الداعى هذه الأخلاق المحمدية وسعى إلى التخلق بصفاتهما فقد سهل عليه أن يخرج الناس من ظلمات الليل إلى أنوار العلم وينقذهم من ذل المعصية إلى عز الطاعة وداوى قلوبهم وهذب نفوسهم بما أوتى من مهارة وحكمة ، وأمکنه أن يحول بين الأمة ورنائل الأخلاق بسور منيع لبناته الزواجر والنصائح وهيكله الترغيب والترهيب ، وبقينا لو كان المرشد على ما وصفنا لصار ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه فيقتدون به ويهتدون بهديه وأن يستولى على القلوب ويصرفها تجاه الحق وفى ذلك كفاية ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

آداب الداعية مع المدعو

آداب الداعى مع المدعو كثيرة أهمها وأعلاها عدم المجاهرة بالتوبيخ وأن يصرف الداعية المدعو إلى الفضيلة بالتلويح وليس التصريح فى المقال، فإن يبدو الكلام أنه يأتى عرضا خيرا من أن يتم التصريح به وهو فى الحالة الأولى أوقع فى النفس وأعظم تأثيرا فى القلب وادعى إلى التنبيه فى الخطأ مع مراعاة حرص المخاطب بترك المجاهرة بالتوبيخ والتقرير الشديد العنيف الذى يعطى الطرف الآخر أو المدعو جرأة على رد الهجمة بهجمة مثلها أو يهيج شعوره فيحرص على الإصرار على الخطأ والبقاء على ما تم لوجه عليه لاسيما إذا كانت نفس المدعو تنطوى على الكبر أو العشم.

وعلى الداعى ثانيا أن يملك من الفراسة ما يقوده إلى حسن التقدير لحال المدعويين فلا يحملهم أكثر ما يستطيعون أو يتحملون ويمسك عما لا يطيقون، ويوجز إذا أحس ملل السامعين أو خشى انصرافهم عنه.

وفى الأثر أن العبد الصالح الخضر قال لنبى الله موسى عليهما السلام: «يا طالب العلم إن القائل أقل ملالة من المستمع

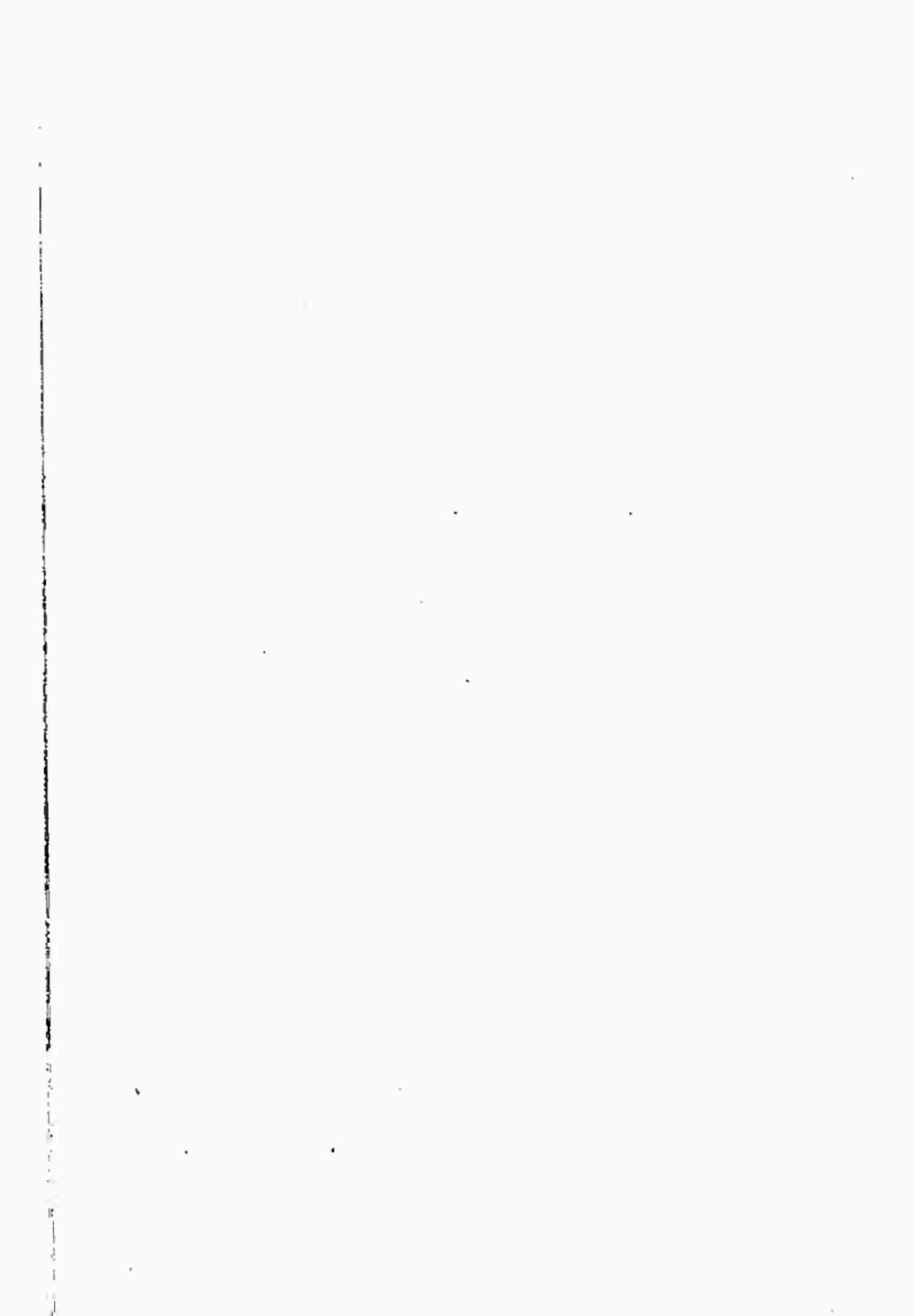
فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم يا موسى واعلم أن قلبك وعاء فانظر ما تحشوه في وعائك».

وفى الأثر أيضاً أن ابن السماك جلس يوماً للوعظ وجارته تسمع كلامه فقال لها: كيف سمعت كلامى؟ فقالت: هو حسن لولا إنك تردده، فقال: أردده كى يفهمه من لم يفهمه، فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه.

والمقصود من القول إن خير المرشدين الفطن الذى لا يقل ولا يمل.

وإذا كان فى الوعظ ما يجرح إحساس الموعوظ أو حرجا يحمله على النفور من سماع الوعاظ أو الاستنكاف من قبوله، فقد فشل الداعى فى مهمته والصواب أن يلتمس الداعى الحكمة فيذكر ما فى مخاطب من فضل وماله من منزلة ثم يرشده إلى الخير ويحذره من الشر ليحمله ذلك على التخلّى عما هو فيه من ضلال وشقاء وتقبل نفسه على التحلى بما يدعوه إليه من هدى ورشاد، كما يقبل الجريح على من يضمّد جراحه ويسكن آلامه وينقذه من تعب المرض إلى راحة السلامة إلى هذا يدعو رب العزة كما جاء فى قرأنه الحكيم ورسالة نبيه العظيم التى ما ابتغت إلا الهدى والرحمة للمؤمنين.





الخاتمة

فى مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم

بقلم الكاتب الصحفى / عاطف عبدالغنى

فداك أبى وأمى يارسول الله.. وهل يكفى أن أفتديك بكلام
فمى، وفؤادى مشغول عن نصرتك بسفاسف الدنيا وسقط
متاعها؟! .. وما نصرتك إلا نصرة لذاتى، وما أنت بحاجة
لنصرة بشر وقد كفاك رب العباد وكرّمك ورفع ذكرك حتى قرن
الإقرار بوحدانيته سبحانه وتعالى بالشهادة لرسوليتك وجعلهما
شرطا للإسلام، وأنعم الله تعالى عليك وأنعم بك، وهداك وهدى
بك، ورفعك ورفع بك، ورحمك ورحم بك؛ رحمة من الله تعالى
للعالمين، ونعمة للناس أجمعين، وهداية ورفعة للمؤمنين؛ الذين
عُرفوا بك، ونُسبوا إليك، فَقِيلَ: أمة الأُمِّيِّينَ، وأمة النبى الأُمى
وأمة محمدٍ، صلى الله عليك وسلم.

وفى هذا الزمن المستضعفة فيه أمة محمد صلى الله عليه
وسلم، وهذا التاريخ شهر سبتمبر من عام ٢٠١٢ وقد تفجرت ثورة

المسلمين فى بقاع الأرض غيرة وغضبا نبيلين جراء ما تعرضت له سيرة رسولهم الكريم، من تناول الموتورين الذين تحركهم نوازع كراهية الإسلام والمسلمين.. هذه الغيرة وهذا الغضب اللذان قادا تحركات البسطاء والعوام وبلغا بالبعض منهم حد الاستعداد بالتضحية الجسدية، وبذل الروح - وهى أعلى ما يملكه الإنسان - ليعلن عن موقفه تجاه الإساءة لنبيه، ونصرته ضد أعدائه، أعداء الدين، بقدر هذه الغضبة جاءت على العكس ردود أفعال مؤسسات وهيئات رسمية ودينية وطنية وقومية وأممىة إسلامية، أجمعها الصمت تجاه هذه الإساءة الموجهة لسيرة نبي الإسلام، وما سبقها من إساءات كانت فيها أيضا ردود الأفعال صادمة ومخيبة لكل التوقعات، ولا يدانيها فى الوصف إلا الغياب الدائم لمن يعدون أنفسهم صفوة ونخب المجتمعات الإسلامية وقادة رأيه وفكره، المحكومين بمواءمات المصالح والسياسة والمكاسب الشخصية وهوانهم على الناس.

فى هذا المناخ الحزين طلب منى أن أكتب هذه الخاتمة عن هذا المؤلف القيم الذى يحمل عنوانا وصفيا يكشف جانبا من جوانب العظمة فى شخصية محمد رسول الإسلام معلم الأجيال، والعنوان هو: «أعظم الدعاة».

ومن العنوان إلى المحتوى صادفت اجتهادا رائعا يستحق
الإجازة العلمية التي حصل عليها الموضوع ومعالجته ، وبعد أن
انتهيت من القراءة سألت نفسي : ماذا يمكن أن أضيف فى
الموضوع إلى نتاج اجتهاد الشيخ الجليل العالم الدكتور عبدالسلام
جاد بسيونى الذى استخرج من كتاب الله وسيرة رسوله صلى الله
عليه وسلم هذا المؤلف القيم ليفيد به المسلمين والإسلام وقضيتهم
العادلة التى فشلوا لوقت كبير من تاريخهم فى تقديمها للإنسانية
المعذبة بالبحث عن المآل والمآل؟! .. المآل الذى يقتدى به البشر
فى الدنيا، والمآل الذى هم حتما منتهون إليه بعد الموت .
سألت وانشغلت كثيرا بالسؤال إلى أن هدانى الله إلى أن أسقط
جانبا من جوانب هذه العظمة على الواقع المستردى الآن لأمة
الإسلام، حيث يتحقق فيها ما أخبرنا عنه الرسول قبل أربعة
عشر قرنا حين قال صلى الله عليه وسلم : «توشك أن تداعى
عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل أومن قلة نحن
يومئذ؟ قال بل أنتم كثير ولكن كغثاء السيل، ويوشك الله أن
ينزعن المهابة من صدور أعدائكم وأن يقذف فى قلوبكم الوهن...
الحديث».

وما أشبه الليلة بالبارحة كما يقولون، ما أشبه حال
المسلمين بحال قريش وما حولها من العرب يوم ابتعث محمد

صلى الله وسلم فيهم هاديا ومعلما وقائدا، وكانت العرب قبل محمد صلى الله عليه وسلم أمة لا شأن لها، ولا أهمية لقبائلها، ولا لجماعتها، فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم بعث هذه الأمة بعثا جديدا يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات، فغلبت العالم، وحكمت فيه آجالا وآجالا.. كما تقول الليدى إيفلين كوبلد Lady Evelyn Cobbold ابنة العائلة البريطانية الأرستقراطية التى أسلمت، فى كتابها (البحث عن الله)، أو كما يقول الباحث الروسى آرلونوف: «الأعمال العظيمة التى قام بها محمد - صلى الله عليه وسلم - تدل على أنه من المصلحين العظام، وعلى أن فى نفسه قوة فوق قوة البشر، فقد كان ذا فكر نير، وبصيرة وقيادة، واشتهر بدمائة الأخلاق، ولين العريكة، والتواضع وحسن المعاملة مع الناس»، قضى محمد صلى الله عليه وسلم أربعين سنة مع الناس بسلام وطمأنينة، وكان جميع أقاربه يحبونه حبا جما، وأهل مدينته يحترمونه احتراما عظيما، لما عليه من المبادئ القويمة، والأخلاق الكريمة، وشرف النفس، والنزاهة، أو كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها عندما سئلت عن أخلاق النبى فأجابت: «كان خلقه القرآن» فجاء وصفها عبارة جامعة مانعة تلخص فى كلمات ثلاث

ما تعجز عنه مجلدات من الوصف، محمد صلى الله عليه وسلم قرآن يمشى على الأرض، عقله يشبه القرآن في نسقه، قلبه يشبه القرآن في آيات رحمته، وكلامه غير الموحى به يشبه القرآن في إعجازه وهديه، وغايته في الدنيا تشبه القرآن في دعوته إلى سبيل الله.

هي إذن الدعوة التي تحمل في طياتها الرسالة.. رسالة الحق إلى الخلق، الرسالة الخاتمة والشريعة الكاملة المكتملة.. «اليوم أكملت لكم دينكم»، قالها محمد صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وتركها أمانة في أمته إلى يوم الدين، قالها بعد أن أتم دعوته التي وقف حياته في سبيل إيصالها، وأودى في سبيلها جسديا ومعنويا قبل أن ينتقل إلى جوار ربه راضيا مرضيا، ونأتى اليوم نحن - المسلمين - فنضّيع الأمانة ونخون أنفسنا.. أى ذنب نقترفه؟.. وما السبيل للإصلاح؟

أما الذنب فهو عظيم وأما السبيل للإصلاح فهو واضح جلي، أن نتأسى برسولنا الكريم في خلقه وطباعه، في عمله وكلامه، وأن ندعو الناس إلى رسالته، ولن تنجح دعوتنا إلا أن نستلهم المنهج والطريق والمراحل التي قطعها أعظم الدعاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا واجب على كل مسلم يبغى الترقى

والارتقاء في دنياه، فإذا ما تصدى المسلم الفرد لمهمة الدعوة ووظيفتها صار الواجب فرض عين على الداعية أن يأتيه ليتربى ويتأدب في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، وأعظم بها من مدرسة ينبغي أن نتحراها في زمن يضيع فيه العلم وتندر الأخلاق.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدروس المكثفة عن أعظم الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم.. جمعها وأصلها ورتبها ترتيباً بديعاً د.عبدالسلام جاد بسيوني وهو داعية إسلامي يرفع منذ زمن ليس بقليل راية الدعوة إلى الإسلام في بلاد القارة الإفريقية التي ذهب إليها منذ سنوات طويلة، اختار أن يعيش هذه السنوات في سبيل الدعوة لدين الله مغترباً عن وطنه ومسقط رأسه مصر وأهله وعشيرته الأقربين.

وتأتي أيضاً أهمية هذه الدروس في أنها ليست موجهة فقط لمن يريد أن يتصدى لمهمة الدعوة للإسلام والخطابة في المسلمين وفي غيرهم من الملل والنحل، بل هي تخاطب في لغة سهلة العامة ممن يريد أن يعرف ملمحاً من ملامح رسول الإسلام وعظمته، ولا ينبغي أن نقرأ نحن المسلمين تحديداً هذه الكلمات والجمل لمجرد الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن للتأسي بها والعمل والاسترشاد بهدى السيرة وصاحبها.

هذا ما أعرفه وما أردت أن أنقله إليكم إخوتي فى الإنسانية
وفى الإسلام، جزى الله د.عبدالسلام جاد بسيونى خيرا على
عمله الذى أثرى به المكتبة الإسلامية والعربية، وجزانا وإياكم
جزاء الفهم والعمل بهدى نبيه وهدى ما جاء فى هذا المؤلف من
قبس دعوته، وجزى الشدائد خيرا، إذ جعلتنا نرتاح قليلا مع
الفطرة السليمة قبل أن تلوثنا السياسة.. جعلها الله فى ميزان
حسناتك يا شيخ.. اللهم آمين.



الفهرس

- ٣ تقديم بقلم د. سالم محمود عبد الجليل
- ١٤ القرآن وأسلوب الدعوة فى مكة والمدينة بقلم د. محمد وهدان
- ٢٣ محمد صلى الله عليه وسلم أعظم الدعاة
- ٢٤ ١- دعوة الأنبياء ودعوة العلماء
- ٣٢ ٢- تحديد الهدف والتعرف على مجتمع الدعوة
- ٣٥ ٣- التعرف على طبيعة المجتمع
- ٣٧ ٤- تربية القيادة على المستوى الفكرى
- ٤٤ ٥- العرض الواضح
- ٤٨ ٦- الاستقطاب حول الدعوة
- ٥٠ ٧- مطابقة السلوك للمبادئ
- ٥٣ ٨- الصبر
- ٥٦ ٩- العلم بالقرآن
- ٥٨ ١٠- العمل والحلم
- ٦٠ ١١- الشجاعة والعفة والقناعة
- ٦٣ ١٢- قوة البيان وفصاحة اللسان
- ٦٥ ١٣- التحصين بالعلم المجتمعى

- ٦٩ ١٤ - قوة الثقة بالله
- ٧١ ١٥ - التواضع
- ٧٣ ١٦ - عدم البخل بالعلم
- ٧٦ ١٧ - الوقار والرزانة وضبط اللسان
- ٧٨ ١٨ - علو النفس والصبر
- ٨٠ ١٩ - التقوى والأمانة والتحرز بطاعة الله
- ٨٢ آداب الداعي الكمالية
- ٨٤ آداب الداعية مع المدعو
- ٨٦ الخاتمة بقلم أ. عاطف عبد الغنى

٢٠١٣ / ١٦٢٨٢	رقم الإيداع
ISBN 978-977-02-7863-5	التقديم الدولي

١ / ٢٠١٣ / ٥٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)